الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم : اللغة و الأدب العربي

الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام
دراسة تداولية

مذكرة مقدمة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص:لسانيات نصية

إعـــداد الطالبة :

* حمو كوثر

إشراف الدكتور :

ا. البار عبد القادر

السنة الجامعية : 2016 / 2017

الشكر

أشكر الله العلي القدير صاحب الشأن العظيم

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير إلى الدكتور المشرف البار عبد القادر لما منحه لي من وقت وجهد

وتوجيه وإرشاد

كما أقدم شكري إلى جميع الأساتذة في قسم اللغة

العربية وآدابها في جامعة ورقلة وأخص بالذكر:

الأستاذ بوعافية محمد الصالح و د/عنيشل خديجة.

و إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد ولو بكلمة أو دعوة صالحة

فهـــــرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر و عرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
مدخل	10
الفصل الأول: ماهية الاستلزام الحواري	
المبحث الأول : تعريف الاستلزام الحواري	21
المبحث الثاني : طبيعة الاستلزام الحواري و أهم خصائصه	29
المبحث الثالث : مبدأ التعاون وقواعده التخاطبية	35
الفصل الثاني: تجليات الإستلزام الحواري في خطابات سيدنا -إبراهيم عليه السلام-	
المبحث الأول : مبدأ الكم	39
المبحث الثاني: مبدأ الكيف	45
المبحث الثالث : مبدأ الطريقة	52
المبحث الرابع : مبدأ المناسبة	58
الخاتمة	65
قائمة المصادر و المراجع	67

المقدمة

مقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين حبيبنا ونبينا محمدا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أما بعد:

بما أن اللغة وسيلة للتواصل منذ الأزل، والتي بها نضمن التواصل بين أفراد المجتمع فقد لقيت اهتماما كبيرا عند الدارسين والباحثين في شتى الاختصاصات، مما ساهم في ظهور مجموعة من النظريات، خصوصا في الدرس التداولي، منها ما عني بدراسة تحليل الخطاب أو النصوص في ظل ما يقوله المخاطب ويقصده، ويكون ذلك كله باستخدام القدرات العقلية في عملية الاستدلال التي تساعدنا في تحليل المعنى انطلاقا من السياق.

وكما هو معروف أن الدرس التداولي متنوع المصادر، إذ لكل جانب من جوانبه حقل انبثق منه، فالاستلزام الحواري مثلا ظهر من نطاق ما يعرف بالفلسفة التحليلية، وتحديدا فلسفة اللغة العادية، التي أولت اهتماما بالغا باللغة أثناء الاستخدام التواصلي (التفاعل الخطابي).

و بما أن الحوار يعد الركيزة الأولى في أي عملية تواصلية، فقد لقي عناية كبيرة من طرف الدارسين، الأمر الذي أدى ببول جرايس إلى الاهتمام به من خلال تأسيسه لنظريتة المعروفة ب" الاستلزام الحواري"، القائم على مبادئ، و قواعد تنظم سير العملية التخاطبية، أساس هذه النظرية مبدأ التعاون الذي يرتب عملية التأويل، أثناء خروج العبارة عن معناها الحرفي، الذي يؤدي إلى ظهور استلزامات مقامية قال عنها بول جرايس أنها تحدث عندما يتم خرق قاعدة من القواعد التي تندرج ضمن مبدأ التعاون، وموضوع البحث لا يخرج عن هذا، فكان بعنوان "**الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام**" دراسة تداولية، اخترنا فيها مجموعة من خطاباته عليه السلام، وإن من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع هي الاستفادة من الدراسة التطبيقية لهذه الظاهرة أما عن سبب اختيار المدونة فكان ذلك لثراء النص القرآني أسلوبيا.

وكان الانطلاق في هذا البحث من خلال إشكاليات أهمها:

1ـ هل يمكن تطبيق الاستلزام الحواري وقواعده التخاطبية على النص القرآني؟

2ـ وما مدى وعي الفكر العربي بمفهوم الاستلزام الحواري؟

وقد كان الهدف الذي سعينا له هو:

- إيضاح أهمية الموضوع خصوصا في الدرس اللساني
- المساهمة والاستفادة من الدراسة التطبيقية حول ظاهرة الاستلزام الحواري.
- معرفة مدى إمكانية تطبيق الظاهرة على النص أو الخطاب القرآني.

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكاليات والوصول لتلك الأهداف تمت هيكلة البحث الذي انقسم بدوره لفصلين مسبوقين بمدخل ومنتهيين بخاتمة.

فعالج المدخل مفهوم التداولية مبرزا فيه أهميتها، و مرتكزاتها وأهم قضاياها، أما الفصل الأول فجاء بعنوان "**ماهية الاستلزام الحواري**" واشتمل على أربعة مباحث تناول الأول تعريف الاستلزام الحواري، أما في الثاني فتناول طبيعة الاستلزام الحواري، وأهم خصائصه التخاطبية بينما في الثالث تعريف مبدأ التعاون وقواعده التخاطبية، ليكون في الرابع نقد مبدأ التعاون والنظريات المكملة له، أما الفصل الثاني فاشتمل على أربعة مباحث، تناول الأول مبدأ القدر أو الكم، والثاني مبدأ الكيف، وفي الثالث مبدأ الطريقة أو الجهة، ليكون في الرابع مبدأ المناسبة، ثم ختم الموضوع بخاتمة جمعت فيها أهم النتائج المتوصل إليها .

وقد كان لطبيعة الموضوع المدروس أن يفرض علينا المنهج الوصفي المبني على الاستنتاجات، ذلك من أجل معرفة القوانين والآليات الحاكمة للخطاب التي من خلالها نقوم بالتحليل، ومعرفة السياق خصوصا وأن النص القرآني لا يمكن تفسيره ولا تأويله إلا في ضله.

وقد استعنـــا في البحث بجملة من المصادر، و المراجع تنوعت بتنـــوع فصوله، من بينها كتاب استراتجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، وكتاب الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي إدواري، أفاق جديدة في البحث اللغوي لمحمود أحمد نحلة، وكتابي اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، و في أصول الحوار وتجديد علم الكلام لطه عبد الرحمن وقد تقاطع موضوع البحث مع جملة من المواضيع الأخرى منها : المكون التداولي في النظرية العربية "ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا" أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لصاحبتها ليلى كادة، الاستلزام الحواري في كتاب أصول البلاغة لكمال الدين بن ميثم البحراني مذكرة لنيل شهادة الماستر، سورة الأنعام دراسة تداولية لأفعال الكلام والاقتضاء التخاطبي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات الحديثة لصاحبتها نور وليد عبد الصالح

ومن الصعوبات التي واجهتنا هي كثرة المراجـــع التي تجعلنا نبحث عن اختيار الأنسب منها للبحث، مع وجود بعض الصعوبة في التطبيق، خصوصا وخصوصية المدونة إلا أن هذا لم يقف حاجزا أمامنا فقد حاولنا جاهدين أن نسير قدما في سبيل انجاز هذا العمل.

وفي الأخير أقدم شكري و تقديري للأستاذ المشرف الدكتور: البار عبد القادر الذي مد لي يد المساعد من خلال تزويدي بالإرشادات، والنصائح، التي يسرت لي بعض الصعوبات التي اعترضتني، فكان له بصمة واضحة المعالم في هذا البحث من خلال تقويمه و سد نواقصه، فجزاه الله عني خير جزاء.

وختاما أحمد الله حمدا يليق بجلال وجهه، و عظيم سلطانه على نعمته علينا، و عونه لنا في انجاز هذا البحث ، وأسأل الله التوفيق و السداد في القول والعمل، إنه من وراء القصد.

كوثر حمو

مدخـــل

تعد التداولية مبحثا من مباحث الدراسات اللسانية الحديثة التي تطورت إبان السبعينيات من القرن العشرين، ولعل أقدم ما ذهب إليه العلماء في تحديد ماهيتها ما جاء به **شال موريس***، حيث عرفها بأنها:" جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي العلامات"[1]

وهو تعريف عام، لم يحدد فيه نوعية العلامة أو طبيعتها حيث قسم السيموطيقا إلى ثلاثة أبعاد:"علم التركيب" و"علم الدلالة" و"علم التداولية" التي عدها البحث الثالث في نظره.

لقد تعددت تعريفات التداولية بحسب اختلاف تخصصات العلماء، فيعرفها جورج يول بقوله: "التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم".[2]

أي أنها تعنى بدراسة مقاصد المتكلمين من خلال تفسير وتحليل كلامهم.

أما عند **أوستن** فهي:" جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي، من حيث هو جزء من التعامل الإجتماعي"[3].

بمعنى أنها دراسة اللغة أثناء استعمالها، باعتبارها وسيلة تواصلية اجتماعية.

و قيل:" التداولية كمنهج ترتكز على عملية التلفظ، بالإضافة إلى السياق المرجعي أو السياق المرتبط بالمقام، والخطاب أولا وقبل كل شيء نشاط تلفظي". [4]

---

* **شارل موريس**: من ولاية كولورادو تحصل على شهادة الدكتوراء في الفلسفة 1925 و عين أستاذ بجامعة شيكاغو 1948 من أهم مؤلفاته اسس نظرية الإشارات 1931، الإشارات و اللغة و السلوك الإنسانية 1946

[1] فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماد القومي، الرباط ، 1986، ص 8.

[2] جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.

[3] راضية خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، مقاربة تداولية، مجلة الموقف الأدبي، عدد 399، الجزائر ص1

[4] سي أحمد التجاني، التداولية بين المصطلح وفلسفة المفهوم، مقاربة تداولية للمثل الشعبي، مجلة مقاليد، العدد الأول جوان 2011، ص 71.

وأشمل تعريف للتداولية هو:" دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل، لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما".[1]

من خلال هذه التعاريف يمكن اعتبار التداولية الممارسة اللغوية التي تسعى للكشف عن المعنى من خلال تجاوزها النسق الشكلي للغة إلى نسق الاستعمال والحوار بين المتكلم والمتلقي في سياق تحادثي محدد حسب أغراضهم وأحوالهم.

والتداولية درس لغوي غزير نظرا لمجالات البحث فيها، إذا فهي:" مشروع شاسع في اللسانيات النصية، تهتم بالخطاب ومناحي النصية فيه، نحو المحادثة، المحاججة، التضمين ولدراسة التواصل بشكل عام، بدءا من ظروف إنتاج الملفوظ، إلى الحال التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصد محدد، إلى ما يمكن أن تنشئه من تأثيرات في السامع، وعناصر السياق". [2]

وحسب **هانسون*** فإن التداولية ترتكز على ثلاث درجات وهي:

1_ التداولية من الدرجة الأولى: تهتم هذه التداولية بالرموز الإشارية، التي تحيل إلى المتكلمين، والزمان، والمكان، وكذا بدراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب، والتي تتحدد مرجعيتها ودلالتها من خلال سياق الحديث. [3]

---

[1] محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المرقة الجامعية، مصر، 2002، ص 14.

[2] أ.باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع،بسكرة 2011 ، ص 164.

* نروودرسل هانسون: مختص بفلسفة العلوم و احد مطوري نظرية ان الملاحظة مكتنزة بالجانب النظري

[3] أ.لحمادي فطومة، تداولية الخطاب المسرحي، الملتقى الدولي الخامس، السيمياء والنص الأدبي، جامعة تبسة، د.ت، ص 587.

2_ التداولية من الدرجة الثانية: "وهي تتضمن دراسة الأسلوب الذي يرتبط فيه القول بقضية مطروحة، حيث تكون هذه الأخيرة متباينة عن الدلالة الجانبية للقول، وهي تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي، بالسعي نحو استخراج و معرفة العمليات التي تكون سببا في ذلك، أما النظريات التي تتناول هذا النمط من الدراسة فهي نظرية قوانين الخطاب، وأحكام أو مسلمات المحادثة، حسب التسمية وما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق والأقوال المضمرة والاحتجاج...

أما السياق في هذا النمط، فهو مجمل المعلومات، والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون"[1].

3- تداولية من الدرجة الثالثة: "وتتمثل في الدراسات التي تدخل ضمن ما يسمى نظريات الأفعال الكلامية، التي تنطلق من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية"[2].

أي أن الأبعاد تختلف حسب الغرض الذي يتحقق من الإنجاز اللغوي، حيث يتعلق الأمر بمعرفة ما يتم إنجازه عن طريق استخدام اللغة في سياق تواصلي محدد.

ومن خلال قراءة بعض مراجع الدرس التداولي، نجد أعلامه يتفقون في نظرتهم على أهم القضايا والموضوعات، التي يرونها جوهر دراستها وهي: أفعال الكلام (les actes de langages ،ومتضمنات القول (les implicites) ،والاستلزام الحواري (l'implication conversationnelle) ، والإشاريات (deicicies)، إضافة إلى مفاهيم أخرى منها: القصدية (intentionalistic)، والحجاج (l'argumentation)، والسياق (contexete).

أ- الأفعال الكلامية: تعد نظرية الأفعال الكلامية من بين أهم نظريات التداولية التي كان لها شأن كبير في مجال دراساتها، ويمكن القول بأنها الركيزة الأساسية التي قام عليها الإتجاه

[1] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف، ط1، 2003، ص 13.
[2] المرجع نفسه، ص 13.

التداولي في الخمسينيات من القرن العشرين، على يد أستاذ فلسفة اللغة جون **لا نجشو أوستين** (1911–1960)، لتكتمل مرحلة الضبط ،والنضج المنهجي على يد تلميذه **سورل**.

ويذهب **دومنيك مانغونو** في تحديده لمفهوم الفعل الكلامي إلى قوله :"والمقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد، ...) غايته تغيير حال المتخاطبين، إن المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ".[1]

بمعنى أنه الإنجاز أو العمل الذي يؤديه المتكلم حين نطقه بألفاظ محددة، وهو ما يتفق فيه مع طه عبد الرحمان فيعرفه :" الفعل الكلامي يعني التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام". [2]

" نشأت فكرة (أفعال الكلام) أو (أفعال اللغة) من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة– مجال نشأة التداولية وتطورها– وهو: أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه".[3]

وبهذا يصبح الفعل الكلامي عمل يتزامن في الوقت نفسه مع الملفوظ اللغوي.

تشكلت فكرة الأفعال عند **أوستن*** من خلال التمييز بين الملفوظات الوصفية والملفوظات الإنجازية، بدأت أعماله في بداية الأمر كردة فعل معارضة لآراء الفلاسفة

[1] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2008 ص 7.

[2] د.مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 10.

[3] د.خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر، الجزائر، ط1 2009، ص 89.

* اوستن: (1911-1960) فيلسوف لغة انجليزية واضع نظرية أفعال الكلام من أهم مؤلفاته كيف نصنع الأشياء بالكلمات 1962، أوراق فلسفية 1961

الوضعيين، الذين اشترطوا مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما،هو مقياس الصدق والكذب.

" لقد أنكر **أوستن** أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارات الإخبارية هي وصف حال الوقائع (state of affairs) وصفا يكون إما صادقا أو كاذبا ،وأطلق عليه المغالطة الوصفية (descriptive fallacy) ومضى يثبت أن بجانب هذه العبارات الوصفية نوعا آخر من العبارات قد يتشابه في التركيب مع العبارات الوصفية لكنه لا يصف شيئا في الواقع الخارجي ولا يحتمل الصدق أو الكذب، فإذا بشرت بمولود مثلا وقيل لك ما اسمه، قلت: أسميته يحي ...فإن هذه العبارات ونحوها لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، ولا تحمل الصدق والكذب، بل إنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تلقى قولا، بل تنجز فعلا، فالقول هنا هو الفعل أو جزء منه " .[1]

إذا **أوستن** ميز بين نوعين من الملفوظات: [2]

أ- **أفعال إخبارية:** تخبر عن وقائع العالم الخارجي وتكون إما صادقة أو كاذبة.

ب- أفعال أدائية (إنجازية): تستخدم لإنجاز فعل كالتسمية، والإعتذار، والترحيب، ...الخ.

ثم ميز بعد هذه الأخيرة بين ثلاثة أنواع من الأفعال:

* **فعل قولي locutoire:** يقابل التلفظ بالأصوات(فعل صوتي)، والتلفظ بالتراكيب (فعل تركيبي)، واستعمال التراكيب حسب دلالتها (فعل دلالي).

* **فعل إنجازي (القول الفاعل) illocutoire:** يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من آدائه يعد، يخبر، ينذر/ ويشتمل: الجانب التبليغي والجانب التطبيقي.

[1] محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 62.

[2] المرجع نفسه، ص 62-63.

* **فعل تأثيري perlocutoire**: يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه، كأن(يرعبه، يجعله، ينفعل)، ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوة إنجازية وهي تفترض تزامنا بين موضوع الملفوظية، والمتلفظ.[1]

مثال:

الفعل القولي: قال لي خذ القلم، أي أنه تلفظ بتلك الجملة.

الفعل الإنجازي: أنجز المتلفظ قولا، فقد أمرني بأخذ القلم حين التفوه بالجملة أعلاه.

الفعل التأثيري: أقنعني بأخذ القلم فأستجيب.

وقد صنف أوستن أفعال الكلام من حيث دلالتها إلى مجموعات وظيفية وهي: [2]

1- الحكميات verdictives: وهي بجوهرها إطلاق أحكام على واقع أو قيمة، مما يصعب القطع به، ومن أمثلتها: برأ، قيم، حكم، حسب، وصف، حلل، صنف، أرخ، فسر.

2- الإنفاذيات exercitives: وهي تقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليهما، ومن أمثلتها: عين، سمى، استقال، أعلن، صوت، صرخ، أمر، نهى.

3- الوعديات commissives: وهي قد تكون إلزاما للمتكلم بأداء فعل ما، كما قد تكون إفصاحات عن نواياه، ومن أمثلتها: وعد، نذر، أقسم، راهن، عقد، عزم، نوى.

4- السلوكيات behabitives: وهي ترتبط بإفصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين، أو بالسلوك الإجتماعي، ومن أمثلتها: إعتذر، شكر، هنأ، انتقد، مدح، هجا، وبخ ودع، بارك، اعترض.

---

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، ص 96-97.

[2] طالب سيد هاشم الطبطبائي، الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994، ص 10-11.

5- التبينيات expositives: وهي توضح علاقة أقوالنا بالمحادثة، أو المحاجة الراهنة ومن أمثلتها: أثبت، أنكر، أجاب، اعترض، مثل، استنبط، شرح، وصف، صنف.

لم يرض بعد ذلك عن تقسيمه، لافتقاره إلى أسس ثابتة وواضحة، حيث يقول:" إن أفعال الممارسة تبدو محددة على الأقل بمفهوم ممارسة السلطة ... وأفعال السلوك تحديدها غير كاف، كما ذكر بذلك أوستين، فهي تعود إلى ماهو قبيح أو جيد بالنسبة للمتكلم، والمستمع ليس إلا". [1]

وهذا ما جعل سيرل يعيد تصنيف الأفعال الكلامية وجعلها كالآتي:[2]

1- الإخباريات (التقريرات) assertives: والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية.

2- الوعديات (الإلزاميات) commissives: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل.

3- التعبيريات (البوحيات) exprissive: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي.

4- التوجيهات (الأمريات) directives: وغرضها الإنجازي هو محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما.

5- الإعلانيات (الإيقاعيات) declaratives: والغرض منها إحداث تغيير.

[1] عمر بلخير، النص القرآني والمقاربة اللسانية التداولية، المؤتمر الدولي القرآني السنوي، جامعة ملايا، ماليزيا ماي،2015، ص 8.

[2] محمد مدور، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة، دراسة تداولية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 16، 2012، ص 51-52.

ب- متضمنات القول: هي مفهوم تداولي يقوم بدراسة الخطاب في جوانبه الغامضة، وفي إطار السياق ،ويندرج تحته الإفتراض المسبق والأقوال المضمرة و هي: [1]

1* الإفتراض المسبق présupposition: وهي جملة الإفتراضات التي تشكل الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، فقولنا: افتح الباب، قائم على افتراض مسبق بأن الباب مغلق.

2* الأقوال المضمرة les sous-entendus: ترتبط بوضعية الخطاب وظروفه (مقامه) على خلاف الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية.

تقول أوركيوني:" القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث.[2]

ففي الأقوال المضمرة تبقى قائمة التأويلات مفتوحة ومختلفة باختلاف السياق، ومثال ذلك قول شخص في غرفة مع صديقه: "أشعر بالحر"، فالمتكلم قد يقصد من وراء كلامه أن الجو حار بالفعل، ويكون هذا المعنى الحرفي للعبارة، وقد يريد من خلال قوله أن:

* يشير انتباه صديقه لفتح النافذة والباب إذ كانا مغلقين.

* يلفت انتباهه لإشعال المكيف.

وغيرها من التأويلات الأخرى التي تفهم من خلال السياق التي ترد فيه.

جـ- الإشاريات: إن الإشاريات مثل أسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان، من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقا يطلقون عليها المبهمات، أي أنه

[1] كادة ليلى، ظاهرة الإستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، مجلة علوم اللغة العربية وأدابها، العدد الأول، مارس 2009، الوادي، ص 104.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 39.

لا يمكن إيجاد تفسير لها، دون الرجوع إلى سياقها، ويذهب أغلب الباحثين إلى وجود خمسة أنواع لها: [1]

- **الإشاريات الشخصية personnel deictics:** وتشمل ضمائر المتكلم والمخاطب، والغائب، فهذه الضمائر عناصر إشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه.**مثلا:** أنا تعبان ⟵ إحالة الضمير 'أنا' هنا يحددها السياق.
- **الإشاريات الزمانية:** هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق، بالقياس إلى زمان التلفظ، فإذا لم يعرف زمن التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ، ومثال ذلك: الإعلان عن حملة تطعيم ضد الشلل الأسبوع القادم، فإذا لم نعلم زمن الإعلان فإننا لا نعلم متى تبدأ الحملة.
- **الإشاريات المكانية:** وهي كلمات الإشارة... وهذه العناصر الإشارية إلى الأماكن تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم، ووقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد مكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو وجهة، ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي الذي قيلت فيه، نحو ذلك: أريد الجلوس هنا فقد يكون على الكرسي أو السرير أو في الحديقة أو في أي مكان، فلا يمكن للمخاطب تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يوجد فيه المتكلم ويشير إليه.
- **إشارات الخطاب:** هناك إشارات للخطاب تعد من خواص الخطاب تتمثل في العبارات التي تذكر في النص، مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم، نحو: ومهما يكن من أمر

[1] أنظر ليلى آل حماد، المقاربة التداولية، قضية لغوية، شهادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، 1437-1438، ص ص 3-5.

بل، لكن،... وقد تستعار إشاريات الزمان و المكان لتستخدم إشاريات للخطاب، فكما يقال الأسبوع الماضي، يمكن أن يقال الفصل الماضي ...

- **الإشاريات الاجتماعية:** وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة غير رسمية. [1]

إذا فنمط هذه الإشارات يظهر من خلال العلاقة بين المتلقي و المتكلم فتكون العلاقة رسمية مثلا في :الرسائل الإدارية والمقالات ...وغيرها التي يجب أن تتضمن وجود ألفاظ ود واحترام، وقد تكون غير رسمية عند عدم وجود تلك الألفاظ

كما قد تظهر من خلال الكلام بين أفراد المجتمع مثلا:كلمة "عقيلة" تقال لزوجة إطار سامي في الدولة، بينما كلمة زوجة فتكون للطبقة الأدنى...كما قد تختلف هده الإشارات تؤثرا بالجنس سواء أكانت أنثى أو رجل ...

د-الإستلزام الحواري: هو أهم الجوانب المتداولة التي تهتم بتحليل الخطاب، وهو ما سنتطرق إليه بالتفصيل في هذه المذكرة.

[1] المرجع السابق، ص ص 5-6.

الفصل الأول

ماهية الاستلزام الحواري

المبحث الأول: تعريف الإستلزام الحواري

يعد الاستلزام الحواري من أهم الجوانب التداولية التي اهتمت بتحليل الخطاب.

حيث ترى بشرى البستاني* بأنه: "يولي قصدية المتكلم أو ما يسمى بالدلالة غير الطبيعية اهتماما كبيرا "[1]

فالاستلزام يهتم بما يريده المتكلم، أو يسعى إلى تحقيقه من خلال العملية التواصلية.

"ترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي دعا بول جرايس إلى إلقائها في جامعة هارفارد سنة 1967، قدم من خلالها تصوره بإيجاز لهذا الجانب من الدرس، و الأسس المنهجية التي يقوم عليها، طبعت أجزاء مختصرة منها سنة 1975 في بحث بعنوان: "**المنطق و الحوار**" وسع بعد ذلك في بحثين، الأول سنة 1978 والثاني سنة 1981". [2]

فالخطاب في حقيقته ليس مجموعة ألفاظ وكلمات مرتبة أثناء الفعل اللغوي، و إنما هو تركيب تكون من خلال مجموعة قوانين وضوابط أنشئها المتكلم ليساهم بها في تحقق العملية التواصلية.

" تتمثل الفكرة الأساسية في مفهوم "حكم المحادثة " في أن المتخاطبين عندما يتحاورون إنما يقبلون ويتبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة، لاشتغال التواصل، والمبدأ الأساسي هو: **مبدأ التعاون**"[3].

* بشرى البستاني: هي شاعرة و ناقدة و صحفية عراقية ولدت 1950 حاصلة على الدكتوراء في النقد الادبي من أهم أعمالها قراءات في النص الشعري الحديث 2002

[1] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012، ص 86.

[2] محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر، دار المرقة الجامعية، مصر، ط1، 2002، ص 32.

[3] فليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007، ص 84.

وقد أسس جرايس هذه النظرية من خلال إيضاح:" أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، ويقصدون أكثر مما يقولون وقد يقصدون عكس ما يقولون".[1]

فمن خلال هذا القول يتضح لنا أن جرايس اهتم بما يعرف بالقصد وما يعرف بالقول أما القصد فهو ما أراد المتكلم إيصاله إلى السامع من خلال تأويله الذهني، بينما القول هو ما أشار إليه تركيب النص حرفيا.

ومن خلال اهتمامه بدراسة المعنى، صنفه إلى صنفين وهما: المعنى الطبيعي، والمعنى غير الطبيعي.

"ويقارن أمثلة من قبيل "يشير منبه الحافلة إلى الانطلاق" " وتدل البثور المنشرة على جلد زيد على أنه يعاني من مرض جدري الماء " بأمثلة من قبيل أن يقول زيد لعمرو: "إن غرفتك زريبة خنازير"، فإنه يقصد أن غرفة عمرو وسخة وغير مرتبة، وتوافق الأمثلة الأولى **الدلالة الطبيعية** في ظواهر وضعت في علاقة مع أعراضها أو نتائجها، وتوافق الأمثلة الثانية "**الدلالة غير الطبيعية**" فهي صلة قائمة بين محتويات يريد القائلون إبلاغها، والجمل التي استعملوها لإبلاغها". [2]

وقد وضح جرايس مفهوم الدلالة غير الطبيعة بقوله: "أن تقول إن القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة، فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه، بفضل فهم هذا المخاطب لنيته". [3]

وبهذا نلاحظ أن جرايس اهتم بموضوع الدلالة غير الطبيعية لكونها ترتبط بمقاصد المتكلمين وما يدور في أذهانهم أثناء كلامهم، سواء ظهر ذلك بشكل صريح أو لم يظهر.

---

[1] محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر، ص33.

[2] آن روبول جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة د.سيف الدين دغفوس ود.محمود الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 53.

[3] المرجع نفسه، ص 53.

و يمكن تعريف الاستلزام الحواري أو قل إنه: "عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل أنه شيء يعنيه المتكلم و يوحي به ويقترحه ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة حرفيا".[1]

ويطابق عبد الهادي الشهري تعريف الإستلزام الحواري لدى جرايس والمفهوم لدى الأصوليين حيث قال: "يعبر المرسل بالمفهوم بدلا من اقتصاره على التعبير عن قصده بالمنطوق والأصوليون يفرقون بين منطوق الجملة ومفهومها، و منطوقها هو ما يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة من السماع لهذه الجملة، ومفهومها ما تستعمل له هذه العبارة بطريقة غير مباشرة، وقالوا مفهوم المخالفة و مفهوم الموافقة ويفيد تماما ما يقصده جرايس بالاستلزام في أثناء الحوار".[2]

ومن هنا يمكننا إستنتاج أن الاستلزام الحواري هو المعنى الثاني الذي لا يصرح به المتكلم، ولكنه يظهر من خلال عملية التأويل والفهم.

[1] صلاح اسماعيل عبد الحق، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية القاهرة، ط1، 2005، ص 78

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة–، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص 429.

الاستلزام الحواري عند قدامى البلاغيين:

لم يرد مصطلح الإستلزام الحواري عند القدامى البلاغيين ظاهرا وصريحا، إلا أنهم تعرضوا له من خلال علومهم، و يعد "**عبد القاهر الجرجاني**" و "**أبو يعقوب السكاكي**" من هؤلاء الذين تطرقوا له من خلال تحدثهم عن**'المعنى'**، "فالسكاكي يؤمن بوجود معان أو أغراض فرعية في مقابل المعنى أو المعاني الأصلية، وأن الذي يأطر الإنتقال من المعنى الأصلي إلى المعنى الفرعي هو شروط أداء العبارات الطلبية في مقامات غير مطابقة هو المتحكم الأساسي في ظاهرة الاستلزام الحواري" [1].

فتحدث السكاكي عن ثنائية الخبر و الإنشاء، إلا أنه إقتصر على الشق الثاني من الثنائية على الطلب الذي يقابل عنده الخبر فيقول:"السابق للاعتبار في كلام العرب شيئان الخبر والطلب، المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة التي يأتيك ذكرها، ثم يعمد إلى تفريغ كل قسم إلى أصناف بسط لكل صنف منها شروطا تتحكم في إنجازه وفق مقتضى الحال، وفي حالة إجراء الكلام على خلاف ما يقتضيه المقام،" تتولد أغراض فرعية" تناسب السياق."[2]

إذا السكاكي أشار إلى أن هناك شروطا يجب مراعاتها، فمتى أدرك الخرق في تلك الشروط ظهرت دلالات جديدة، فيصبح هناك معنى أصلي ومعنى فرعي وهو ما يقابل الاستلزام الحواري، وهذا ما يمكن عده في صميم بحوث جرايس.

أما عند الجرجاني فسنجده تحدث عن المعنى الذي عده المفهوم الظاهر، ومعنى المعنى وهو معرفتك للمعنى الظاهر فيفضي بك إلى معنى آخر.

[1] العياشي أدراوي، الإستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص 33.

[2] المرجع نفسه، ص 28.

الإستلزام الحواري عند الأصوليين:

وقف الأصوليون على دلالة النصوص وحللوها، حيث استخلصوا منها قسمين أساسيين:

"أ* **أولها:** ما نسميه بالمعنى الحرفي (le sens litteral)، ويسميه الأصوليين بـ: دلالة المنظوم أو المنطوق.

ب* **ثانيهما:** ويشمل الدلالات التابعة التي يستلزمها النص، أو تسبق إلى الفهم من النطق به دون أن تدل عليها الألفاظ بحرفيتها، وكل الدلالات التي تفهم من النص عقلا دون أن تدل عليها عباراته الحرفية"[1].

وهذا ما يتوافق مع جرايس في حديثه عن الدلالة الوضعية، وهو المعنى الحرفي للجملة من خلال مفرداتها وتراكيبها، أما دلالة المفهوم فهي المعاني الضمنية التي تتجاوز مفردات الجملة وتبقى مرهونة بالسياق، فيقول محمد علي فاتح مقابلة في كتاب دلالة التركيب عند الاصوليين: " وإذا دلت الوحدة الكلامية بحرفيتها على المعنى المقصود فإن الأصوليين يطلقون عليها مصطلح المنطوق الصريح هو" ما وضع اللفظ له، فيدل عليه بالمطابقة والتضمن، أما إذا كان التوصل إلى المعاني المقصودة يتم من خلال ما تتضمنه الألفاظ المباشرة من معان أخرى فذلك المنطوق غير الصريح لديهم "[2]

وقد عرف الأصوليون المنطوق غير الصريح بأنه: " ما لم يوضع اللفظ له بل يلزم مع وضع دلالة له فيدل عليه بالالتزام".[3]

قسم لديهم إلى ثلاثة أقسام:" دلالة الاقتضاء، دلالة الإيماء، ودلالة الإشارة."[4]

---

[1] علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع, مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، ط1، 2000، ص ص 126-127.

[2] محمد علي فاتح مقابلة، دلالة التركيب لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة، قدمت أطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، 2006، ص 72.

[3] المرجع نفسه، ص 73.

[4] المرجع نفسه، ص 74.

وفي هذا يقول طه عبد الرحمن:" دلالة الدلالة هي استلزام القول لمعنى تابع للمعنى العياري مع توسط دليل مشترك تكفي في إدراكه معرفة قواعد التخاطب، ومن غير توقف فائدة القول على هذا المعنى، ويتم ذلك عن طريق اللجوء إلى قواعد التخاطب.[1]

من خلال ما سبق يمكن القول بأن الأصوليين من خلال تأويلهم للنص القرآني عمدوا إلى تقسيم المعنى إلى: "معنى حرفي" و "معنى تابع" أفضى إلى ثلاثة أنواع من الدلالات وهي دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الإلتزام.

فالاقتراحات التي قدمها جرايس شبيهة بالتي قدمها الأصوليون تحت ما يسمى: الاستلزام التخاطبي، حيث يتعلق الأول بدلالة المنطوق، أما الثاني بدلالة المفهوم.

الاستلزام الحواري عند المحدثين:

لقد تعددت الدراسات و اختلفت وجهات النظر بين الباحثين المحدثين نذكر منهم:

1-طه عبد الرحمن[*]: انطلق في أعماله من نظريته التراثية، مختارا لنفسه ركيزة أساسية ألا وهي المعرفة العربية فيقول:" اجتهدنا قدر المستطاع في الأخذ بأسباب اللغة العربية في التعبير والتبليغ، ووظفناها في التنظير هو موضوع هذا البحث."[2]

أما عن تناوله للاستلزام الحواري، فقد اقترح مبدءا مكملا للمبدأ التعاوني سماه:"**مبدأ التحقيق واعتبار الصدق و الإخلاص**، و صاغه على النحو الآتي:

- لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك .

[1] طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوين العقلي، ص 117.

[*] طه عبد الرحمان: 1944 فيلسوف مغربي متخصص في المنطق و فلسفة اللغة و الأخلاق يعد من ابرز المفكرين في مجال التداول اللساني من أهم أعماله في أصول الحوار و تجديد علم الكلام 1987 اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي 1998

[2] طه عبد الرحمان في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، مركز الثقافي العربي ، ط2، 2000 ، ص 29.

ينبني هذا المبدأ على عنصرين اثنين أحدهما: "نقل القول" ويتعلق بالجانب التبليغي من المخاطبة.

والثاني: "تطبيق القول" الذي يتعلق بما أسميناه بالجانب التهديبي منها، تتفرع على مبدأ التحقيق في جانبه التبليغي قواعد مظبوطة، نجدها مجتمعة ومفصلة عند الماوردي في كتابه **'أدب الدنيا والدين'**وهي:

- ✓ ينبغي أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.
- ✓ ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.
- ✓ يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم.
- ✓ ينبغي أن يأتي به المتكلم في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصة، كما تتفرع على مبدأ التحقيق في جانبه التهديبي قواعد تتعلق بالقصر والصدق والإخلاص."[1]

"فالقاعدة الأولى تقوم مقام مبدأ التعاون، إذ أن تشترط تحديد هدف ... حتى إذا خلت المخاطبة من هذا الهدف المخصوص كانت بإصلاح الماوردي 'هجرا' أو 'هذيانا'.

والقاعدة الثانية تنزل منزلة قاعدة العلاقة، إذ أن تقضي بأن يكون لكل مقام قول يناسبه كما تقضي العلاقة بهذه المناسبة.

والقاعدة الثالثة تقوم مقام قاعدة الكم، إذ أن توجب الإكتفاء بالضروري من الخبر ...

والقاعدة الرابعة تنزل منزلة قاعدة الجهة، إذ أن تشترط مراعاة صحة المعاني وفصاحة الألفاظ ..." [2]

إذن نستنتج أن طه عبد الرحمان اتفق مع جرايس في مبدأ التعاون وقواعده المتفرعة عليه إلا في قاعدة واحدة وهي **قاعدة الكيف**.

---

[1] العياشي أدراوي، الإستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 122-123.

[2] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو الكوثر العقلي، ص 250.

2- أحمد المتوكل*: لقد اهتم بظاهرة 'الاستلزام الحواري في التراث العربي من خلال الاقتراحات التي توصل إليها السكاكي في هذه المسألة فيقول:" لأنه ينماز عما توصل إليه الآخرون فيها، عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة ،بأنها تجاوز ملاحظة الصرف، وتحمل أهم بدور التحليل الملائم للظاهرة ؛أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقاميا، ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني، بوضع قواعد إستلزامية واضحة..." [1]

وتمثلت جهود أحمد المتوكل في هذا الجانب في تقديم تعميمات لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري، والتي تدور في فلك اقتراحات السكاكي وهي كالتالي:

"**التعميم الأول:** 'ينتقل معنى الجملة من المعنى الصريح الظاهر(س: الممكن حصوله), لخرق شرط الحمل عليه (طلب الممكن حصوله)، إلى المعنى المتولد(التمني) لخرقه الشرط السابق الذي يقابل الشرط المخروق (غير ممكن الحصول)، على أنه يمكن صوغ تعميمات جزئية تدور في فلك الانتقال من معنى معين على وفق التعميم الثاني.

التعميم الثاني: 'تنتقل الجملة الاستفهامية من الدلالة على السؤال إلى الدلالة على التمني من خلال خرق يؤدي إلى طلب غير الممكن حصوله، وهو ما ينبني عنه التمني"[2].

ومن هنا يمكن الاستنتاج أن المعنى في نظره ليس واحد، فتنتقل الجملة من المعنى الأصلي إلى المعنى الآخر، ويحصل نتيجة لخرق إحدى القواعد التي يجري عليها المعنى الأصلي فيسميه بالمعنى المستلزم.

* المتوكل 1942ولد في الرباط تخصص في تدريب النحو الوظيفي من أهم أعماله الوظائف التداولية في اللغة العربية، دراسات في النحو اللغة العربية الوظيفي

[1] عبد الفتاح الحموز، نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012، ص 579.

[2] المرجع نفسه، ص 583-584.

3- مسعود صحراوي[*]: تطرق مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند العلماء العرب لظاهرة الاستلزام الحواري ونسبها إلى جرايس، فاهتم بالمعنى والقصد،لأن في اللغات الطبيعية معاني قد تحمل في مدلولاتها معاني أخرى ضمنية.

المبحث الثانـي: مبدأ التعاون وقواعده التخاطبية

تقوم نظرية الاستلزام الحواري على ما يعرف باسم "**مبدأ التعاون**"، تتجسد فكرته في مساهمة المتكلمين وتحكمهم في المبادلة الخطابية، وبالتالي تحقيق التعاون بين أطراف الحوار في سياق محدد.

يصاغ هذا المبدأ على النحو "ينبغي أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة، تحدوك غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه، أنت ملتزم بأحدهما في لحظة معينة".[1]

ومن هذا يمكننا القول بأن مبدأ التعاون هو العمود الذي يقوم عليه الاستلزام الحواري من أجل تنظيم النشاط الكلامي.

تقول أوركيوني[*]: " إذا كان للشخصين فائدة في ممارستهما للكلام فإن كل طرف منهما سيجني ثمار ذلك إذا تحقق التبادل، وعكس ذلك مآله الفشل". [2]

ومفاد هذا أن هدف الخطاب يتحقق في ظل الحوار وبتناوب بين شخصين أي المتكلم والمخاطب.

---

[*] مسعود صحراوي: أستاذ و باحث أكاديمي جزائري يشتغل حاليا أستاذ محامي في كلية اللغة لجامعة الاغواط من أهم مؤلفاته، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي

[1] العياشي أدراوي، الإستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 99.

[*] اوركيوني: هي الفيلسوفة الألسونية الفرنسية كاترين كيربارت أستاذة في فرع علوم الكلام في جامعة لومبير لها مجموعة من الكتب حول علم الدلالة و التداولية التواصلية منها المضمر

[2] قدور عمران، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،2012، ص 71.

"يؤدي مبدأ التعاون إلى التواصل والتفاعل فيما بيننا مهما كانت الظروف المعتمدة ... من هذا الجانب يقتضي الفعل التواصلي من المتخاطبين عمليتين متوازيتين: الإنتاج والتأويل يحيل الإنتاج إلى التلفظ الذي يرتبط بالمتكلم بالدرجة الأولى، في حين يتطلب التأويل من المتلقي الاستناد إلى عدة وسائل لسانية وغير لسانية". [1]

إذن فالتفاعلات الحوارية تؤدي إلى ظهور كيفية إنتاج الخطاب من جهة، و إلى عملية التأويل من جهة أخرى، مستغلة في ذلك العديد من الوسائل أهمها السياق.

ولوصف ظاهرة الاستلزام الحواري اقترح جرايس وضع أربع قواعد متفرعة عن المبدأ العام "مبدأ التعاون"، أو كما يسميها مسعود صحراوي بالمسلمات الحوارية وهي: [2]

1- مبـدأ القدر أو الكم Maxim of quantity:

جعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه، فيقول المتكلم ماهو ضروري بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض.

2- مبـدأ الكيف Maxim of quality:

لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه، فالمحاور لا ينجح في حواره بما يراه كذبا أو غير إقناعي و بما لا يستطيع البرهنة عليه لأنه يضعف حجته.

3- مبدأ الطريقـة Maxim of mannuer:

كن واضحا و محددا وأوجز، ورتب كلامك، فيجب في الحوار تجنب الإبهام واللبس والاضطراب في الترتيب والخلل المنطقي.

---

[1] ذهبية حمو الحاج، قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو، دار الأمل العدد الثاني، ماي 2007، ص 220.

[2] محمد عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية(التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، ط1، 2013 ص 91-92.

4- مبـدأ المناسبـــة Maxim of relation:

اجعل كلامك مناسبا للموضوع، فيجب أن يكون الكلام مناسبا سياق الحال، وهو السياق البراجماتي، فيجب أن تكون المشاركة في موضوع الحوار مناسبة ومفيدة.

إن غاية جرايس من تحديده القواعد هي تنظيم عملية التخاطب من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

يقول **طه عبد الرحمن:**" لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية".[1]

"إضافة إلى هذا يرى جرايس بأن هذه القوانين ليست عشوائية، بل إنها وسائل تسهل عملية التواصل، وقد لا يتساوى استعمالها، فبعضها يفوق البعض الآخر.

ويمكن للمتكلم التعبير بالمفهوم المستلزم بأكثر من طريقة "إذ تنتج على الأقل بطريقتين متباينتين وذلك طبقا للموقف الذي يتخذه من القواعد، فقد يراعي المتكلم القواعد والحكم بشكل صريح إلى حد ما، تاركا للمخاطب مهمة التوسيع وتظهير ما قيل باللجوء إلى استدلالات مباشرة انطلاقا من مراعاة المتكلم للقواعد ... دعنا نسمي هذا الاستدلال الناتج عن مراعاة القواعد بالاستلزام النموذجي standar implicative، وهناك طريقة أخرى

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 239.

للاستدلال وهي عندما يخل المتكلم عن قصد وعلانية بقواعد التخاطب، أو كما يعبر عن ذلك جرايس عندما يستخف (flout) المتكلم بهذه القواعد".[1]

من هذا القول نستنتج أن هناك نوعين من الاستلزام، نوع يتم عند مراعاة القواعد السالفة الذكر ويسمى:"الاستلزام المعمم" أو "الاستلزام النموذجي"، ومثال ذلك الحوار التالي:

في حوار بين رجل و زوجته:

الزوج: أين مفاتيح السيارة ؟

الزوجة: على المائدة.

فالظاهر أن مبدأ التعاون وقواعده متحققة في هذه المحاورة القصيرة، فأجابت الزوجة إجابة واضحة(الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة (الكم)، وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها(المناسبة)، ولذلك لم يتولد عن قولها أي استلزام، لأنها قالت ما تقصده. [2]

والثاني هو الاستلزام الحواري أو المعنى غير الصريح، فإنه يحدث إذا ما تم خرق قاعدة من القواعد السابقة، ولتوضيح ذلك نصوغ الأمثلة التالية:

1- خرق لقاعدة الكم: في حوار بين الأم (أ) وابنتها **(ب)**

أ- هل أكلت وغسلت الأواني؟

ب- أكلت.

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 430.

[2] محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص35.

فسؤال الأم يحمل شقين، لكن إجابة ابنتها كانت على شق واحد، فلم تجب عن الأمرين وعليه ينبغي على الأم أن تدرك أن ابنتها لم تغسل الأواني، ففي هذا المثال خرق لقاعدة الكم لأن الجواب لم يكن بالقدر المطلوب.

2- خرق لقاعدة الكيف: "في حوار بين تلميذ **(أ)** والأستاذ **(ب)** وكلاهما إنجليزي

أ- طهران في تركيا، أليس هذا صحيحا يا أستاذ ؟

ب- طبعا، ولندن في أمريكا.

في هذا الحوار انتهك الأستاذ مبدأ الكيف الذي يقتضي أن لا يقول إلا ما يعتقد صوابه وما يملك عليه دليلا، فالانتهاك هنا مقصود من أجل تبيان الخطأ للتلميذ، والتلميذ قادر على الوصول إلى مراد الأستاذ، لأنه يعلم أن لندن ليست في أمريكا، وذلك يستلزم أن الأستاذ يقصد بقوله شيئا غير ما تقوله كلماته وهو أن قول التلميذ غير صحيح."[1]

3- خرق لقاعدة الطريقة:

" **أ**- ماذا تريد ؟

ب- قم واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في القفل، ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب برفق.

كان بإمكان **(ب)** أن يكتفي فقط بقوله: إفتح الباب.

كلام **(ب)** يمتاز بالبطء، في حين عليه أن يكون موجزا، وهو ما نتج عنه خرق لقاعدة الطريقة". [2]

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق في البحث اللساني المعاصر، ص36.

[2] أنظر المرجع نفسه، ص 38.

4- خرق مبدأ المناسبة:

" أ- أين زيد ؟

ب- ثمة سيارة صفراء تقف أمام منزل عمرو

وما قاله **(ب)** بمعناه الحرفي ليس إجابة عن السؤال، فهو ينتهك مبدأ المناسبة، ولكن السامع في ضوء المبادئ الأخرى للتعاون يسأل نفسه ما هي العلاقة الممكنة بين وقوف سيارة صفراء أمام منزل عمرو والسؤال عن مكان زيد، ثم يصل إلى أن المراد بهذا القول إبلاغه رسالة مفادها أنه إذا كانت لزيد سيارة صفراء فلعله عند عمرو". [1]

إذن "جرايس" يعتبر المحادثة عملية مشاركة ومساعد بين المتكلم والمتلقي، وصاغ مبدأ التعاون لتيسير عملية التخاطب، أما القواعد المتفرعة منه فهي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية، وبصفة عامة يمكن القول أن هذه القواعد تعين في بناء التبادلات الكلامية بطريقة لا تخرجها عن الانسجام و لا عن الاتساق.

[1] المرجع السابق، ص 38.

المبحث الثالث: طبيعة الإستلزام الحواري وأهم خصائصه:

رأى جرايس أن نظرية الاستلزام الحواري تقوم على أن الحمولة الدلالية للعبارة تنقسم إلى معان صريحة ضاهرة، ومعان ضمنية تفهم دلالتها من خلال السياق الذي وردت فيه.

"**1- المعاني الصريحة:** هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل مايلي:

أ- **المحتوى القضوي:** وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب- القوة الإنجازية الحرفية: وتتمثل في القوة الدلالية التي تشير إليها عن طريق أدوات مثل: الاستفهام، الأمر، النهي ... وغيرها.

2- المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجه إليها، وتشمل مايلي:

أ- **معاني عرفية:** وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا، وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين مثل: معنى الاقتضاء .

ب- معاني حوارية: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة مثل: الدلالة الاستلزامية." [1]

ومن أجل إيضاح هذا التصور نقترح المثال الآتي: هل الى مرد من سبيل؟

-المحتوى القضوي :الرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى بعد الموت.

-القوة الإنجازية الحرفية: والمؤشر لها بالأداة "هل"فهي استفهام، وينتج معناها الصريح من ضم محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية.

[1] د.مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 35.

أما المعنى الضمني فيتألف من معنيين جزئيين هما:-معنى عرفي:أي اقتضاء حالهم الرجوع إلى حياة الدنيا.

- معنى حواري استلزامي: وهو تمني المتكلمين من المخاطب "الله تعالى"أن يردهم إلى الدنيا.

يمكن توضيح تصنيف المعاني المكونة للحمولة الدلالية في المخطط الآتي: [1]

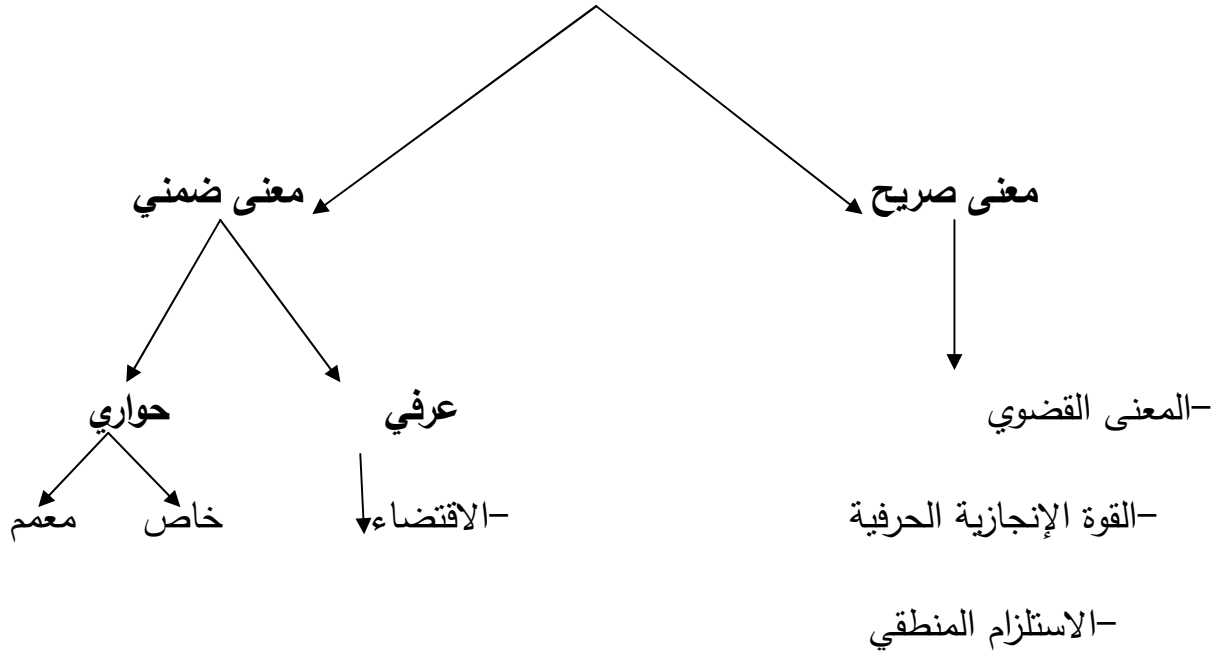

الشكل (1): مخطط توظيحي للحمولة الدلالية للعبارة اللغوية

أما **أهم خصائص الاستلزام** فيمكن إجمالها فيما يلي:

1- إن الاستلزام قابل للإلغاء: ويحدث ذلك بإضافة المتكلم قولا يسد الطريق أمام المخاطب أثناء دخوله في عملية التأويل، للوقوف على المعاني الضمنية، فيحول دونها مثلا: إذا قالت قارئة لكاتب، لم أقرأ كل كتبك يستلزم أنها قرأت البعض فقط، لكن إذا تم تعقيب كلامها بقولها: الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها، فهذا الرد إلغاء لأي استلزام.

[1] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط2، 2010، ص 29.

2- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي، لأنه متصل به، ولا يتغير باستبدال المفردات أو العبارات، ويتضح ذلك من خلال المثال الآتي:

* لا أريدك أن تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو.

* أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.

فعدم الرضا على هذا السلوك لا يزال قائما، وهو ما يستلزمه رغم تغير الصياغة في القول الثاني، وهذا ما يجعل الاستلزام التخاطبي متميزا عن غيره من الاستدلال المنطقي كالافتراض المسبق.

3- الاستلزام الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات أخرى، لأنه متغير حسب اختلاف السياق مثلا: * لو قلت لشخص أدرس جيدا، فهذا يستلزم مجموعة من الدلالات فقد يكون طلبا ليتعمق في فكرة ما.

* وقد يكون توبيخا لفعل لا ترضاه كالإهمال.

* وقد يكون نصيحة لأنها تنفعه مستقبلا "[1]

وهكذا فالاستلزام متغير من وضع لآخر.

4- الاستلزام يمكن تقديره: بمعنى أن المخاطب عليه القيام بخطوات محروسة تمكنه من الوصول إلى ما يستلزمه الكلام.

من خلال ما سبق فإن الخطاب ينطلق من أجل تحقيق هدف معين، بإتباع إستراتيجية خطابية تبدأ من مرحلة تحليل السياق بما فيها التأويل الذهني واختيار العلامات اللغوية المناسبة له.[2]

[1] ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 38-39.

[2] المرجع السابق، ص 39.

الفصل الثاني

تجليات الاستلزام الحواري في خطابات سيدنا إبراهيم

المبحث الأول : مبدأ الكم أو القدر:

الحوار الأول:

قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة 124

تحمل الآية الكريمة حوارا بين سيدنا إبراهيم عليه السلام والمولى عز وجل، فنلاحظ من خلال قوله تعالى : ***وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ*** يستلزم القول انه إخبار لما حدث في قصته عليه السلام من ابتلاء، واختبار بما كلفه به سبحانه وتعالى من تكاليف شرعية، وأوامر، ونواهي، وقيامه بها، ف "إذ" في مفهومها تستلزم الذكرى، فجاءت بمعنى اذكر أي: ما وقع حينها من مجريات، فجاء في تفسيرها عند ابن كثير:(أي: واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين...، اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم)[1]، وجاء في تفسير القرطبي أنها تضم عشرين مسألة، فيها مسائل مختلف في أحكامها، ثم ابتدأ الحوار يحمل بشرى لإبراهيم من الله عز وجل بجعله إماما للناس، فقال تعالى:***قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا*** * يستلزم القول معنى أن الإمامة منحت له عليه السلام بعد إتمامه الكلمات، لأنه بعد الابتلاء والصبر يأتي الجزاء، وهذا الرأي اختلف فيه العلماء والمفسرون (فقالوا إن الإمامة منحت له قبل ذلك، لكون المولى عزّ وجل يعلم بأنه سيقوم بها استنادا لقوله تعالى: ***فَأَتَمَّهُنَّ***، إضافة لكون ذبح الولد، والهجرة، والنار كانت بعد ذلك إن كانت من تلك الكلمات)[2].

وبعد هذا التبشير ردّ عليه السلام في قوله تعالى:* **قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي*** فحمل هذا الجواب استفهاما خرج عن غرضه الأصلي إلى أسلوب التمني، والدعاء، وهو الاستلزام المستنبط من سياق الحدث، فشكل المعنى الثاني(يعد استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد، وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثمّ

[1] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير بن كثير، دار الطيبة، الرياض، 2002، ج1، ص406.

[2] ينظر أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، م1، ط1، 1994، ص374.

فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل ولسيطرة على ذهن المرسل إليه وتيسير الخطاب تجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون)[1]، أي أن دلالة الاستفهام قد تتغير وفق ما يريده مرسل الخطاب، في سياق محدد، فكان القصد من قوله: **وَمِن ذُرِّيَّتِي (أي:** واجعل من ذريتي أئمة يقتدى بهم، وقد جرى إبراهيم على سنة الفطرة فتمنى لذريته الخير في أجسامهم وعقولهم، و أخلاقهم)[2].

ومن هنا استلزم هذا الطلب من المولى عزّ وجل إجابة لسيدنا إبراهيم بكون الإمامة لا تنطبق على جميع الخلق والناس وإنما لها صفات معينة فذكر* **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ*** فكانت هذه الإجابة إجابة غير ظاهرة تحمل في طياتها، ومفهومها تشريف بعض من ذريته عليه السلام، فكان ذكر الإمامة بأنها لا تصلح للظالمين فيها نوع من الاستثناء وأنه يوجد من تتحقق فيه تلك الصفات (وذكر الصنف الذي لا تتحقق فيه هذه الإمامة دون الصنف الآخر لأنه مبهم في دعاء إبراهيم عليه السلام، وهو أكبر من الصنف الذي تتحقق فيه الإمامة، وفي ذكره تعريض بأهل الكتب، والمشركين الذين يزعمون أنهم أولى الناس بإبراهيم، وهم في الحقيقة بعيدون عنه كل البعد، ومحرومون من دعوته، وليسوا جديرين بالإمامة لظلمهم)[3]. وبهذا يمكن القول أن المعاني في عملية التأويل قد تتعدى الصورة الحرفية للكلام، فيستلزم ذلك مراعاة السياق، والقرائن لتحديد المعنى بشكل صائب، وصحيح و إذا ما ربطنا هذه المعطيات بمبادئ جرايس، نجد أنه تم خرق قاعدة الكم، لأن المعلومات كانت موجزة، وكذا سؤال سيدنا إبراهيم في دعائه لله عز وجل، ويظهر هذا كذلك من خلال رد المولى له بقوله: " لا ينال عهدي الظالمين"، فلم تعطى المعلومات الكاملة.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص352.

[2] أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البياتي الحلبي وأولاده، مصر، ج1، ط1، 1946، ص200.

[3] د/الشحات محمد ابو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر، ط1، 1991 ص**373**.

الحوار الثاني:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿69﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿70﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿71﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿72﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿73﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿74﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿75﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿76﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿77﴾ سورة الشعراء.

تحمل الآيات الكريمة من سورة الشعراء محاورة بين إبراهيم عليه السلام و أباه، وقومه كان الغرض منها إثبات وحدانية الخالق عز وجل، حيث ابتدأت القصة هنا بأسلوب مشوق يعكس روعة الاستهلال فيها، ولفت الانتباه لأخذ العظة، فقال تعالى : *وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ*، ثم بدأ الحوار بقوله تعالى: *إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ* فهذه الآية تحمل مقصودا آخر غير ما هو موجود في تركيبها، أو في معناها القضوي، فالاستفهام هنا ليس استفهاما حقيقيا، لأن سيدنا إبراهيم على دراية بما يعبدون، فليس بحاجة للسؤال، فخرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر، وهو التعجب والاستنكار في نفس الوقت فاستلزم هذا أنه غير راض على ما يفعلونه، فاستعمل أسلوب الاستنكار لدفعهم للتدبر والتفكير، فافتتح الحوار هنا بالاستفهام من أجل أن يبدأ هم بتبيان، وكشف حقيقة ما يعبدون، فجاء تفسير شرح الآية * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ* (كان إبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام، ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء...)[1].

ونجد في قوله تعالى:* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ* أن هذه الآية إجابة عن سؤال صوري سابق ذكره، فتضمن زيادة في الجواب فقيل* فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ* استلزمت هذه الزيادة تبيان فخرهم بما يعبدون (و أطالوا في الجواب ولم يقتصروا على قولهم :أصناما كما هو مقتضى السؤال، ابتهاجا بعبادتها، وافتخارا بها بإطالة الحديث عنها، قال

[1] الإمام محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ج3، 1986، ص317.

الزمخشري: فإن قلت "ما تعبدون" سؤال عن المعبود فحسب، فكان القياس أن يقولوا أصناما، كقوله تعالى:*ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو*)[1]، وكلمة "أصناما" تستلزم وجود أصناما كثيرة وليس صنم واحد، ومن هنا بدأت محاججة سيدنا إبراهيم عليه السلام من اجل إقناع والده وقومه، لإيقاظهم من غفلتهم فقال تعالى:* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ* نلاحظ أن هذا القول يستلزم أن يكون المعبود يسمع عابده أثناء عبادته له، فإن كانت غير هذا فما الفائدة منها، ففي قوله استنكار، إضافة إلى بعث الشك في نفوسهم حول حقيقة ما يعبدون، فما استطاعوا الإجابة إلا برد فعلهم للأوليين، فقال تعالى: *قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ* فهذا القول يستلزم إجابة غير مباشرة واعتراف بكون ما يعبدونه لا يسمع، ولا يضر، ولا ينفع، ولكنهم وجدوا آباءهم يعبدونهم فعبدوه (روي عن قتادة أنه قرأ هل يسمعونكم بضم الياء، أي: أهل يسمعونكم أصواتهم (إذ تدعون، أو ينفعونكم، أو يضرون) أي:هل تنفعكم هذه الأصنام وترزقكم، أو تملك لكم خيرا، أو ضرا إن عصيتم...)[2] ، إضافة لكون الإجابة لم تكن على ما يقتضيه السؤال (المرسل هنا حين يستفهم لا ينتظر ردا من المتلقي، ولكن ما يهمه هو إحداث التفاعل بينه وبين المتلقي وتحقيق مبدأ الإفادة، فالخطاب الإنشائي لا يصف الواقع، إنما يدفع إلى التأثير فيه وتغييره والأساليب الإنشائية هي أبرز مظاهر اللغة التي تعرب عن حيويتها)[3]، فكان الرد بقوله تعالى:* قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿75﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿76﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ *تستلزم هذه الآيات براءة إبراهيم عليه السلام من والده، وقومه، فقوله تعالى :* قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿75﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* استفهام غرضه الإنكار والتوبيخ عن أفعالهم، فيظهر هذا جليا من خلال قوله: *فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا

[1] د/الشحات محمد ابو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر، ط1، 1991، ص58.

[2] محمد احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، ج13، ص109.

[3] ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012، ص129.

رَبَّ الْعَالَمِينَ* في هذا استثناء العداوة رب العالمين، وهذا المعنى المستلزم من السياق، وكذلك إقرار منه عليه السلام بإيمانه، وتوحيده لله الواحد القهار(لأنه دخل في باب من التعريض، وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح)[1]، و يعتبر أسلوب التعريض من أساليب التداولية لأن المرسل يمكنه استعماله لأنه أبلغ للفهم (والتعريض من الآليات الإستراتجية التلميحية المستعملة عند العرب بكثرة في خطاباتهم، فقد أعتبر من علامات الكفاءة التداولية عند المرسل، ودليلا على النبوغ الخطابي، يستعمل لغايات معينة ومقاصد متنوعة، ومراعاة لما يتطلبه السياق)[2]، أما إذا ما ربطنا هذا كله بالقواعد الجرايسية فإننا نجد انه قد تم خرق قاعدة الكم، لأن الآية تضمنت زيادة في القول، وهو جعل إسهامه في الكلام بالزيادة عن القول المطلوب.

الحوار الثالث:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿31﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿32﴾ سورة العنكبوت.

من خلال آيات السورة الكريمة نلاحظ الحوار بين سيدنا إبراهيم والملائكة، حيث جاءت الملائكة لتبشيره فقال تعالى:* **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ*** استلزم القول في هذه الآية ربط هلاك قوم لوط بمجيء الملائكة إبراهيم عليه السلام، حيث بدا الحوار بقوله تعالى:* **قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ*** تستلزم غضب الله تعالى على أهل تلك القرية، والتعليل في قوله:* **إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ*** استلزم صعوبة الموقف على إبراهيم(وجملة أن أهلها كانوا ظالمين تعليل للإهلاك وقصد به استئناس إبراهيم لقبول هذا الخبر المحزن، وأيضا لأن

[1] محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص318.

[2] آمنة بلعلي، الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب، العدد الثالث، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص22.

العدل يقتضي أن لا يكون إلا على ذنب يقتضيه)[1]، فكان رده عليه السلام بقوله:* **قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا*** يستلزم التذكير خوفا على النبي لوط (وقوله إن لوطا فيها خبر مستعمل في التذكير بسنة الله مع رسله من الإنجاء من العذاب الذي يحل بأقوامهم، فهو التعريض للملائكة بتخصيص لوط ممن شملتهم القرية في حكم الإهلاك، ولوط وان لم يكن من أهل القرية بالصالة إلا أن كونه منهم يقتضي الخشية من أن يشمله الإهلاك)[2]، وجاء في تفسيرها عند الرازي (لما سمع قولهم قال لهم إن فيها لوطا إشفاقا عليه ليعلم حاله، أو لأن الملائكة لما قالوا: "إنّا مهلكو" وكأن إبراهيم يعلم أن الله لا يهلك قوما وفيهم رسوله فقال تعجبا إن فيهم لوطا فكيف يهلكون)[3]، فقالت الملائكة:* **قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ*** يستلزم تسليمهم بمعرفة وجوده، واسم التفضيل في"**أعلم**" تأكيدا لذلك، وقولهم:* **لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ*** استلزم زيادة في القول ففيه تقرير مآل سيدنا لوط، وأهله (ثم إن الملائكة لمّا رأوا ذلك منه زادوا عليه، وقالوا إنّك ذكرت لوطا وحده، ونحن ننجيه وننجي معه أهله، ثمّ استثنوا من الأهل امرأته)[4]، وجاء القسم تأكيدا لنجاته ليس هو فقط بل وأهله، وذلك لطمأنته عليه السلام، أما قوله:* **إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ*** تستلزم استثناء امرأته من النجاة، وأن العذاب مقدر عليها لا مفر، ولو أننا طبقنا القواعد الجرايسية على نص الآية، لوجدنا أنه تم انتهاك مبدأ الكم، لأن السياق الذي قيل فيه خبر إهلاك القوم أحدث خوفا من إبراهيم عليه السلام على لوط، فظهر هذا جليا في قوله تعالى " **لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ".

[1] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ج20، ص242.

[2] المرجع نفسه، ص243.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج25، ص51.

[4] المرجع نفسه، ص51.

المبحث الثاني: مبدأ الكيف

الحوار الأول:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّـهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّـهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّـهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ 258 سورة البقرة.

حملت هذه الآية حوارا بين إبراهيم عليه السلام والطاغية النمرود المتجبر والمتسلط في الأرض، فاستهلت المحاورة بقوله تعالى:* **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّـهُ الْمُلْكَ*** تحمل استفهاما خرج عن مراده إلى التعجب (وقد يعمد المتكلم إلى أن يصدر كلامه بالسؤال قصدا منه إلى التشويق إليه، لأنه أمر عظيم أو عجيب، أو ما إلى ذلك من المعاني التي تصاحب معنى التشويق)[1]، وهو المعنى الأساسي (وفي الاستفهام تعجيب من محاججة هذا الطاغية في الله عز وجل، وكفره به، وتجبره بقوته)[2]، وقد اختلف في همزة الاستفهام فقيل:(همزة الاستفهام للتقرير بالرؤية لا للتقرير لعدمها، ومن البلاغيين من يجعلها للإنكار أي أنكر عدم الرؤية... وقد جمع أبو السعود بين القولين فقال:" وهمزة الاستفهام لإنكار المنفي، وتقرير المنفي، أي ألم تنظر أو ألم ينته علمك إلى هذا الطاغوت المارد")[3]، وفي قوله تعالى:***إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ*** قيل هو جواب على سؤال محذوف، فجاء في تفسير ابن كثير (يقال : أنه مكث أربعمائة سنة في ملكه، ولهذا قال :" أن آتاه الله الملك" وكأنه طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم : "ربي الذي يحيي ويميت"... فعند ذلك قال المحاجج وهو النمرود: أنا أحيي

[1] ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية، ص129.

[2] د/الشحات محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص192.

[3] المرجع نفسه، 191.

وأميت)[1]، استلزم القول المكابرة و الاستعظام (قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسّديّ، وغير واحد: وذلك أنّي أوتي بالرّجلين، قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عن الآخر، فذلك معنى الإحياء والإماتة والظّاهر والله اعلم، أنه ما أراد هذا لأنّه ليس جوابا لما قال إبراهيم، ولا في معناه لأنّه غير مانع لوجود الصّانع، وإنّما أراد أنّ يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم أنّه الفاعل لذلك)[2]، وبهذا يكون النمرود قد ادّعى إدعاء، وأتى بحجة ظنها في حسبانه أنها تثبت ما يقول، فأجابه إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى:* **قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّـهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ*** ، جاء في تفسير ابن عاشور(وقد عدل إبراهيم عن الاعتراض بأن هذا ليس من الإحياء المحتج به ولا من الإماتة المحتج بها، فأعرض عنه لما علم من مكابرة خصمه و انتقل إلى ما لا يستطيع الخصم انتحاله، ولذلك بهت، أي عجز لم يجد معارضة)[3]، أما قوله تعالى :* **وَاللَّـهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** *(أي لا يلهمهم حجة ولا برهانا، بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب و لهم عذاب شديد)[4]، وبهذا يكون النمرود قد أفحم أمام حجته عليه السلام بسب ادعائه الكذب، فان ربطت هذه الأقوال بقواعد جرايس، فسنجد أنه قد تم خرق مبدأ الكيف، الذي يقوم على أن لا تقول ما تعلم خطأه أو كذبه، و لا تستطيع البرهنة عليه.

الحوار الثاني:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿51﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿52﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿53﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿54﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿55﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص525.

[2] المرجع نفسه، ص525.

[3] طاهر بن عاشور، تحرير والتنوير، ج3، ص33.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 526.

﴿56﴾ وَتَاللَّـهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿57﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿58﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿59﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿60﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿61﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿62﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿63﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿64﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿65﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿66﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿67﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿68﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿69﴾ سورة الأنبياء.

حملت الآيات في هذه السورة الكريمة حوارا بين إبراهيم عليه السلام، وبين أبيه، وقومه فابتدأت بقوله تعالى:* **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ*** فكلمة الرشد (تعني الاهتداء لوجوه الصلاح)[1]، فاستلزم هذا القول تأكيدا وتعظيما لمكانته عليه السلام في صلاح عقيدته، ودينه، ثم ابتدأ الحوار بقوله:* **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ*** فنجد استفهاما غير حقيقي خرج عن معناه إلى التحقير، والإنكار وقيل في قوله* **مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ***(تجاهل لهم وتغاب، ليحقر آلهتهم ويصغر من شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها)[2]، وقيل(وفي الإشارة إليها بما يشار به للقريب إشارة إلى التحقير أيضا، والسؤال عنها بما التي يطلب بها بيان الحقيقة، أو شرح الاسم من باب تجاهل العارف كأنه لا يعرف أنها ماذا...)[3]، فنلاحظ أنه عليه السلام استعمل أسلوب الاستفهام فتعدى به الجانب التركيبي الملفوظ إلى معنى مضمر، وتلميحا يفهم من سياق الكلام، (لأن المرسل إليه يفهم ما يضمره في خطابه تماما مثلما يفهم ما يظهر فيه، فإذا

[1] محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص 121.

[2] المرجع السابق، ص121.

[3] أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص56.

كانت تتجلى كفاءة المرسل التداولية في صناعة الخطاب فإنها تتجلى الكفاءة التداولية للمرسل إليه عند تأويل الخطاب للوصول إلى مقاصد المرسل وإدراك حججه، فلو كان التخاطب يعتمد على الإستراتجية المباشرة دون غيرها لكلف الناس أنفسهم عنتا من أجل تفسير الخطاب وتوخي الإطناب وإغفال ما تستدعيه عناصر السياق الاجتماعية من تنويع الخطاب في بنيته)[1]، فما كان من القوم إلا الرد بقوله تعالى:* **قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ***استلزم هذا القول اعتراف غير مصرح به، وهروب من كشف حقيقتها إلى تبيان أنهم لا علاقة لهم بذلك، إلا من باب تقليد الأوليين، واقتناعهم بفعلهم، فلم تكن الإجابة إجابة ظاهرة على ما اقتضاه سؤاله، فيرد إبراهيم عليه السلام مستنكرا فعلهم، وردهم بقوله تعالى:* **قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ*** ونجد في الضمير "أنتم" تأكيدا لهذا الاستنكار، ومن هنا استمر التفاعل الخطابي بين إبراهيم عليه السلام، وقومه فكان الرد بقوله تعالى:* **قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ*** وهو أسلوب استفهام خرج عن أصله إلى أسلوب التعجب فاستلزم القول هنا استعظام القوم بسبب إنكاره عليه السلام لهم، فمعنى الآية في كتاب صفوة التفاسير(أي هل أنت جاد فيما تقول أم لاعب؟ وهل قولك حق أو مزاح؟ استعظموا إنكاره عليهم، واستبعدوا أن ما هم عليه ضلالا، وجوزوا أن ما قاله على سبيل المزاح لا الجد)[2] ويتواصل الحوار برده عليه السلام بجواب غير ما اقتضاه سؤالهم فقال تعالى:* **قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ*** استلزم هذا القول إعلانه توحيده، وإيمانه بالله عز وجل، وفيه دعوة إلى التدبر، وإحكام العقل، إضافة إلى نفيه اللعب عنه وأنه جاد فيما يقول، فكان الجواب بقوله تعالى:* **وَتَاللَّـهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ** *استلزم هذا الاستنكار لعبادة الأصنام، فقرر الانتقال من النصح، والإرشاد إلى

[1] لكحل سعدية، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دت، ص 60.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ج2، ص244

الفعل لتأكيد أنها لا تصلح لشيء ونجد في قوله تعالى:* **فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ*** استلزم انه كان متأكد من كونهم مقتنعين بأنها لن يمسها شيء (وعبر عن تكسير الأصنام بالكيد ترشيحا لصعوبته وعدم انجازه إلا بالاحتيال له، وعبر عن الهتم بالأصنام مع إضافتها إليهم تحقيرا لشأنها وشأنهم فهي أصنامهم التي يمتلكونها، ومع هذا يعبدونها، والكيد للأصنام يعني الاجتهاد في كسرها، واصل الكيد الاحتيال في إيجاد ما يضر مع إظهار خلافه، وهو يستلزم الاجتهاد في ذلك، فتجوز به عنه على طريق الاستعارة، أو استعمل في لازمه عن طريق الكناية)[1]، وأما في قوله تعالى:* **قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ*** فنجد في سؤالهم احتمالين أن من قام بهذا الفعل (إما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والإعظام، وإما لأنهم رأوا إفراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها) [2] وجاء في صفوة التفاسير إن سؤالهم غرضه الإنكار، والتوبيخ (قالوا على جهة البحث والإنكار، والتشنيع، والتوبيخ :إن من حطم هده الآلهة لشديد الظلم عظيم الجرم لجراءته على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير)[3]، فقال تعالى:* **قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿60﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ*** استلزم أنه كان هناك من سمع إبراهيم يتوعد فعله، وسمع الأشراف عندهم يسألون عن من قام بتحطيم الأصنام فربط بين الحادثتين التوعد و التكسير، وطلب الإتيان به، كما يستلزم أن من أمر بذلك من الأشراف وكبار القوم، وقوله تعالى:* **فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ*** تستلزم محاكمته على فعله ، وما يؤكد ذلك قوله تعالى:* **قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ*** استلزم هذا السؤال مواصلة تعظيمهم لها، ودفاعهم عنها رغم وجود الدلائل لبطلان عبادتها، فرد إبراهيم صلوات الله عليه بقوله تعالى:* **قَالَ بَلْ**

[1] د/الشحات محمد ابو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص130.

[2] محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص123.

[3] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص244.

فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ* لقد اختلف المفسرون في تبيين المراد من قوله، فجاء في تفسير الطبري المقصود منها : (بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم، أي: إن كانت الآلهة المكسورة تنطق، فإن كبيرهم هو الذي كسرهم، وهذا القول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صل الله عليه وسلم أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها في الله، قوله:" بل فعله كبيرهم هذا" وقوله:" إني سقيم"، وقوله لسارة:" هي أختي")[1]، وقال الزمخشري:(والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه، وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم)[2]، وبهذا استلزم هذا القول الاستهزاء والتهكم (التهكم من الأساليب التي يتم بواسطتها العدول عن المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم، إذ يتجاوز من خلاله الطريق المباشر في التعبير، فيمتطون صهوة التعابير غير المباشرة)[3] ، ويظهر جليا في قوله تعالى:* **فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ*** استلزم القول أنهم علموا بعد تفكيرهم أنهم ليسوا على حق، وقوله:* **فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ***استلزم أن إبراهيم عليه السلام على صواب، فنكسوا رؤوسهم خجلا، ومن هنا استغل عليه السلام الفرصة لنصح، والإرشاد فقال تعالى:* **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿66﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ*** استلزم الاستفهام هنا غرض التوبيخ، فكيف يعقل أن يعبد المرء مالا ينفعه ولا يضره، و مالا يستطيع الدفاع عن نفسه، ويظهر إنكاره فعلهم، وضجره الشديد في قوله:* **أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ*** تستلزم النصح من جهة، وتبين عدم تدبرهم للأدلة والحجج من جهة أخرى، فلم يجدوا سبيلا لدفاع، فقال تعالى:* **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ*** استلزم

[1] أبي جعفر محمد جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1 2001، ج16، ص300.

[2] محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص124.

[3] ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، ص412.

القول عجزهم، و استمرارهم في عنادهم، فجاء الرد من الله عز وجل بقوله تعالى:* **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ*** استلزم المشهد عظمة الخالق(والمراد: ابردي فيسلم منك إبراهيم، أو ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس رضي الله عنه: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها، فان قلت: كيف بردت النار وهي نار؟ قلت:نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحرّ و الإحراق، و أبقاها على الإضاءة والاشتعال كما كانت)[1]، أما إذا ربطنا قوله بقواعد جرايس فإننا نجد انتهاكا في مبدأ الكيف، لأنه كان يعرف أن قوله غير صحيح إلا أنه قال ما قال من أجل جعلهم يتدبرون ويفكرون و يتأملون ليعرفوا دين الحق، وأن الله وحده لا شريك له خالق الكون.

[1] محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص126.

المبحث الثالث: مبدأ الطريقة

الحوار الأول:

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ 126 البقرة

في الآية الكريمة دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام للمولى عزّ وجل بجعل البلد آمناً، فلفظ "هذا" تستلزم في مفهومها تخصيص مكان محدد، كما أنها تبين قرب المكان، فجاء في كتب التفاسير في قوله تعالى:* **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمنا*** (تعني مكة، وقيل الحرم)[1]، وقد اختلف المفسرون في تفسير المقصود في خمس مسائل، (فقيل في الأولى يعني مكة فدعا لذريته وغيرهم بالأمن، ورغد العيش، وفي الثانية بلدا آمنا أي في عيشة راضية، أو أن يكون المراد أهل البلد كقوله تعالى*واسأل القرية* أي أهلها، أما المسالة الثالثة عن الأمن المسئول هل من القحط، أو من الخسف والمسخ، أو الأمن من القتل، والمسألة الرابعة في كون مكة محرمة قبل دعوته عليه السلام أو بعدها، أما الخامسة من ناحية تنكير وتعريف "البلد" ففي التنكير البلد لم تكن موجودة أصلا، فدعا لتصبح بلدا معروفة آمنة، وأما في التعريف فالبلد كانت موجودة، فدعا بذلك تأكيدا وزيادة في الأمن)[2].

ونجد في قوله تعالى:* **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بلدا آمنا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ*** استلزم هذا الدعاء تخصيصه لمن آمن دون الكافر، أي استثناء الكافرين من هذا الدعاء، غير أن رحمة الله واسعة بعباده فقال تعالى: ***قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ*** استلزم هذا الرد أن الله تعالى استجاب لدعائه عليه السلام، وأن رزقه سيشمل الكافر أيضا، فقيل(وكأن إبراهيم

[1] الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، دار الطيبة، الرياض، 1989، ج1، ص150.

[2] ينظر الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين، التفسير الكبير، ص51.50.

عليه السلام قاس الرزق على الإمامة، فنبهه سبحانه على أن الرزق رحمة دنيوية لا تخص المؤمن بخلاف الإمامة آو أنه عليه السلام لما سمع ***لا ينال*** الخ احترز من الدعاء لمن ليس مرضيا عنده تعالى، فأرشده إلى كرمه الشامل)[1]، ونجد في قوله:* **ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرِ***استلزام أن العقاب شيء ملزوم للكافر، ولا رجعة فيه يوم القيامة ووقوعه محقق، ويؤيد هذا القول قوله تعالى:***يوم يدعون إلى نار جهنم دعا***{الطور13}. إذن فالخطاب منفتح على مجموعة من التأويلات، كان لابد من العودة إلى نص السياق لفهم المعنى الحقيقي، وأن رد المولى في طياته يحمل العديد من تأويلات لم يظهر المقصود منها في تركيبها القضوي، فأما لو أردنا ربطه بقواعد جرايس، فسنجد أنه تم خرق قاعدة أو مبدأ الطريقة.

الحوار الثاني:

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ **260 البقرة**

في هذه الآية حوار بين إبراهيم عليه السلام والمولى عز وجل فقوله تعالى : ***وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ*** يظهر ظاهر هذا القول في الذهن أنه عليه السلام يشك في الله سبحانه وتعالى في مسألة إحياء الموتى، إلا أن مقصود هذه الآية الكريمة لم يظهر من خلال تركيبها، فجاء في تفسير ابن كثير(ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام أسبابا منها: انه لما قال لنمرود ربي الذي يحيي ويميت أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وان يرى ذلك مشاهدة، فقال: رب ارني كيف تحي الموتى قال: أولم تؤمن؟

[1] أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص380.

قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي)[1]، وجاء في صفوة التفاسير(سؤال الخليل ربه بقوله:* **كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ*** ليس في شك في قدرة الله ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء، ويدل عليه وروده بصيغة " كيف" وموضوعها السؤال عن الحال ويؤيد المعنى قول النبي صل الله عليه وسلم "نحن أحق بالشك من إبراهيم" ومعناه :ونحن لم نشك فلأن لا يشك إبراهيم أحرى وأولى)[2] والسؤال هنا استلزم يقينه عليه السلام بوجود الموت والحياة، فأراد أن يرى ذلك حقيقة أمامه وهي المعاينة المحسوسة (لتصبح أفعال الآخرين اللغوية التي يتشاركون بها في السياق التواصليّ، هي السياق الدافع لإنتاج خطاب لاحق...إذ لا يحصل التواصل، أو إدراك القصد دون تفاعل تعاونيّ، ومنسّق)[3]، فنلاحظ التفاعل الخطابي مستمر في رد المولى عز وجل بقوله: ***أولم تؤمن*** (ففيه وجهان أحدهما: أنه استفهام بمعنى التقرير، قال الشاعر: ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

والثاني : المقصود من هذا السؤال أن يجيب بما أجاب به ليعلم السامعون أنه عليه السلام كان مؤمنا بذلك عارفا به وأن المقصود من هذا السؤال شيء آخر)[4]، فرد عليه السلام بقوله تعالى:* **قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي*** استلزم القول نفي عدم الإيمان عنه، وقوله:* **وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي*** استلزم أنه كان محتارا في كيفية الإحياء، فاستجاب له المولى عز وجل فقال:* **قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ*** استلزم ارتقاء إبراهيم عليه السلام من علم اليقين إلى عين اليقين، ما إذا ربطنا هذه الآية بقواعد جرايس، فنلاحظ أنه قد تم انتهاك مبدأ الطريقة، فكان هناك تفصيلا في قوله تعالى:* **قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ***

[1] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير بن كثير، ص528.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص151.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص43-44.

[4] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ص36.

الحوار الثالث:

قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿16﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّـهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿17﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿18﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّـهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ ﴿19﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّـهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿20﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿21﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّـهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿22﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّـهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿23﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّـهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿24﴾ سورة العنكبوت.

لقد تضمنت الآيات الكريمة حوارا بين إبراهيم عليه السلام وقومه، فحاول هديهم وتبليغ الرسالة من أجل إيمانهم، فكانت دعوته متدرجة فبدأ بقوله تعالى:***وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاتَّقُوهُ*** استلزم هذا أنهم كانوا يعبدون مالا يستحق العبادة، ولا يعبدون الله أبدا فكانت محاولة تحبيبهم في الإيمان لما فيه من خير لهم بقوله تعالى:* **ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ*** يعني (إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم، أو إن نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم)[1].

ونجد في قوله تعالى:* إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّـهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ

[1] محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص 447.

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿17﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ* استلزم أنه تبيين للعقيدة التي هم فيها وقد اختلف العلماء في القراءة فقيل: (وقرئ تُخَلَّقُونَ من خلق بمعنى التكثير في الخلق، وتَخلُقُونَ من تخلق بمعنى تكذب، و تخرص وقرئ : إفكا فيه وجهان: أن يكون مصدرا نحو: كذب ولعب، و الإفك : مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما، وأن يكون صفة على فعل: أي خلقا إفكا أي ذا إفك وباطل)[1]، ومن هنا يمكن القول بأن اختلاف القراءة يساهم في تحديد المعنى المناسب، ثم انتقل عليه السلام لقوله تعالى :* **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** * وهو استفهام خرج عن غرضه الأصلي إلى الإنكار(و الاستفهام لإنكار عدم رؤيتهم كيف يبدئ الله الخلق، وتقريرهم بهذه الرؤية، أي قد رأوا ذلك، حيث يشاهدون ولادة المخلوقين، وظهور النباتات والثمار...)[2]، وقد اختلف كذلك في قراءة " **يَرَوْا**" فقيل: (قراءة العامّة بالياء على الخبر والتّوبيخ لهم وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. قال أبو عبيد: لذكر الأمم كأنه قال أو لم ير الأمم كيف، وقرأ أبو بكر والْأعمش و ابن وثّاب و حمزة و الكسائيّ:" **تَرَوْا**" بالتّاء خطابا، لقول:" **وَإِنْ تُكَذِّبُوا**"، وقد قيل:" **وَإِنْ تُكَذِّبُوا**" خطاب لقريش ليس من قول إبراهيم، **(ثُمَّ يُعِيدُهُ)** يعني الخلق والبعث، وقيل: المعنى أو لم يروا كيف يبدئ اللّه النّمار فتحيا ثمّ تفني ثم بعيدها أبدا. وكذلك يبدأ خلق والإنسان ثمّ يهلكه بعد أن خلق منه ولدا، وخلق من الولد ولدا)[3]، وبهذا نرى أن الأسلوب الاستفهامي في الدرس التداولي له أهمية بالغة في الخروج صيغة الخطاب إلى المعنى الحقيقي المقصود خصوصا في العمليات الحجاجية (فالاستفهام يعتبر فعل حجاجي بالقصد المضمر فيه وفق ما يقتضيه السياق، فهذه الأسئلة ليست استفهاما عن مجهول، إذ لا يجهل المرسل من هذه المعارف شيئا، ولهذا فهي حجج باعتبار قصد المرسل لا باعتبار الصياغة والمعنى الحرفي)[4]، ثم

[1] المرجع السابق، ص447.

[2] د/الشحات محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص172.

[3] محمد احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص336.

[4] ينظر ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص485.

قال تعالى:* **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّـهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿20﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿21﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّـهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿22﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّـهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*** استلزم السياق هنا دعوة المنكرين للتدبر والتمعن في خلق الله، أما عن قوله تعالى: * **يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿21﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّـهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ*** استلزم هذا أن ما تعبدونه لا قدرة لديه، أي كون الأمور كلها بيد الله، و يعد الذين كفروا بعدما جاءتهم الحجج بعذابه الأليم، فقال تعالى: * **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّـهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** * فجاء في تفسير ابن كثير(يقول تعالى مخبرا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل، أنهم ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان، إلّا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه، وذلك لأنّهم قام عليهم البرهان وتوجّهت عليهم الحجّة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم * **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ* الصَّافَّاتِ: 97- 98)**[1]، فاستلزم هذه الآية معاندة القوم، وتحديهم لإبراهيم عليه السلام بالجهر بكفرهم بطريقة غير مباشرة، فجاءت الحجة من الله عز وجل بانجاءه عليه السلام، وجعلها عبرة للمؤمنين، أما عند ربط هذه الآيات الكريمة بمبدأ جرايس فنجد بأنه قد تم خرق مبدأ الطريقة، لأن دعوته عليه السلام استلزمت الإطالة في الكلام لإقناع المشركين.

[1] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير بن كثير، ج6، ص245.

المبحث الرابع : مبدأ المناسبة:

الحوار الأول:

قال تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿41﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿42﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿43﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿44﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿45﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿46﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴿47﴾ سورة مريم.

اشتملت هذه الآيات الكريمة من سورة مريم حوارا بين الخليل عليه السلام، وأبيه، فاستلزمت دعوته للإيمان، والتوحيد بالله، كما استلزمت تخصيصه الدعوة لوالده، مظهرا بذلك علاقة الابن بالأب، وخوفه عليه من غضب المولى سبحانه وتعالى، فابتدأت الآيات بقوله تعالى:* **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا*** واستلزم الفعل "**أذكر**" الإخبار عما حدث أنداك (أي أذكر ذلك خصوصا من أحوال إبراهيم، فإنه من أهم ما يذكر فيه لأنه مظهر صديقيته إذ خاطب أباه بذلك الإنكار)[1]، وقوله تعالى:* **إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا*** إجابة عن سؤال مقدر، كما تستلزم عدم كذبه، ثم ابتدأ الحوار بتقديم براهين عقلية فقال تعالى:***إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا***، فنجد في قوله "**إذ قال لأبيه**" بدل اشتمال(والذي يقتضيه السياق ويشهد به الذوق البدلية وهو بدل اشتمال، وتعليق الذكر بالأوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا فتذكر)[2] أما قوله:* **يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا*** فاستلزم الاستفهام

[1] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج16، ص112.

[2] أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1994، ص414.

غرض التعجب، والإنكار مما يعبد لعله يعود لرشده، وهو ما اقتضاه السياق (فالاستفهام كما هو واضح يلعب دورا كبيرا في الإقناع، وخاصة في العملية الحجاجية، نظرا لما يعمله من جلب المتلقي إلى فعل الاستدلال بحيث أنه يشركه بحكم قوته، وخصائصه التي تخدم مقاصد الخطاب)[1].

ونجد في قوله:* **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ*** استلزم قوله أنه يخبر والده بالمكانة التي هو فيها، وأن الله اصطفاه من الأنبياء، وقوله:* **فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا*** تستلزم النصح والإرشاد، (والمراد بالصراط السوي: الدين الحق، و أصله: الطريق المستقيم واستعماله في هذا على طريق الاستعارة التصريحية لأنه يصل بالإنسان إلى سعادة في الدنيا وفلاح في الآخرة)[2]، حيث شبه إتباعه في رسالته بالطريق السوي المستقيم، الذي يضمن به المؤمن سعادته الأبدية، وبهذا تظهر الاستعارة بوجه أخر من وجوه الاستلزام (وثم بعد آخر في الرؤية التداولية للاستعارة يتمثل في ربط تأويل الاستعارة بمبادئ جرايس الأربعة المعروفة الكم، والنوع، والترابط، والأسلوب، إذ يمكن أن ينظر إلى الاستعارة على أنها نوع خاص من استغلال مبدأ أو أكثر من المبادئ الأربعة)[3]، ثم يبدأ من جديد بمناداة أبيه من جديد واستعطافه بندائه "**يا أبت**" في قوله تعالى:* **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿44﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا*** تستلزم النهي لعدم إتباعه لدين الحق، وكان تكراره عليه السلام لنداء أبيه لأنه في مقام الموعظة، و الإرشاد لخوفه عليه من عذاب المولى عز وجل، فما كان الرد من والد جائر متعصب سوى قوله:* **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا*** استلزم الاستفهام هنا الاستنكار الحامل معنى التعجب لعدم إتباع سنة

[1] آمنة بلعلي، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القران والحديث، مجلة التراث العربي، العدد رقم89، 2003، ص214.

[2] د/الشحات محمد ابو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص33.

[3] عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، مقالة في مجلة العلامات، العدد 23، المغرب، 2005، ص107.

الأولين(والاستفهام للإنكار إنكار لتجافي إبراهيم عن عبادة أصنامهم، وإضافة الآلهة إلى الضمير نفسه إضافة ولاية، وانتساب إلى المضاف لقصد تشريف المضاف إليه، وقد جاء في جوابه دعوة ابنه بمنتهى الجفاء، والعنجهية بعكس ما في كلام إبراهيم من اللين والرفق)[1] كما استلزم قوله:* **لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا*** قسوة القلب، وتحجر الفكر فأجابه عليه السلام رغم أنه لم يفلح في إلانته بأسلوب رقيق بقوله تعالى:* **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا*** استلزم السياق هنا التوديع، وعدم معارضة الأب في قراره، وأما قوله:* **سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا*** استلزم أنه سيدعي له بالمغفرة (أي قال إبراهيم في جوابه:أما أنا فلا ينالك مني أذى ولا مكروه، ولا أقول لك بعد ما يؤذيك لحرمة الأبوة، وسأسأل الله أن يهديك، ويغفر لك ذنبك)[2]، وقوله:* **إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا*** أي يجيبني حين أدعوه، وبهذا قول الوالد:" أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا" فقد حملت هذه الإجابة معنيين، معنى حرفي يحمل الاستفهام و المعنى الثاني المستلزم وهو المراد بقوله يظهر من خلال السياق، فخرج القول من أسلوب الاستفهام إلى أسلوب التعجب، الذي يتماشى مع إنكار أب إبراهيم على ابنه الرغبة عن آلهتهم، أما إذا طبقنا المبدأ التعاوني على نص الآية فإننا نجد بأنه تم انتهاك مبدأ المناسبة لأن المخاطب إنزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي قصدها المتكلم، فلم يتناسب المخاطب في قوله بما هو مطلوب.

الحوار الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿51﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿52﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿53﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ

[1] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ج16، ص 118.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص 201.

الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿54﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿55﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿56﴾ سورة الحجر

تدور آيات الحوار هذه حول نبأ الخليل عليه السلام مع الملائكة الذين بعثوا من الله عزّ وجل لتبشيره بولده، فقال تعالى:* **وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ*** تستلزم الإخبار(واخبرهم يا محمّد عن قصة ضيف إبراهيم)[1]، فبدأ الحوار بقوله تعالى:* **إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ*** تستلزم عدم الاستئذان وقت دخولهم، وأنه لا يعلم بقدومهم (وقيل لأنهم دخلوا عليه بغير إذن وبغير وقت)[2]، قال تعالى:* **قَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ*** كان الجواب على غير كلامهم لأنه أوجس منهم خيفة (ظنّهم يريدون به شرّا، فلما سلّموا عليه فاتحهم بطلب الأمن فقال: إنّا منكم وجلون، أي أخفتمونا، وفي سورة الذّاريات أنه قال لهم: قوم منكرون)[3]، فقال تعالى:* **قَالُوا لَا تَوْجَلْ*** جواب لقوله عليه السلام يفيد النهي، وقوله:* **إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ*** تستلزم سبب قدومهم، وسبب نهيه، وقوله:* **بِغُلَامٍ عَلِيمٍ*** تستلزم أن ما بشر به ولد وستكون له مكانة، إعلاما منهم بما سيكون، فقال تعالى:* **قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ*** استفهام خرج عن معناه الأصلي إلى دلالة التعجب، وهو المعنى الرئيسي المستفاد من سياق، لأنه شيخ كبير السن (والاستفهام في أبشّرتموني للتعجب و"على" بمعنى "مع" دّالة على شدّة اقتران البشارة بمسّ الكبر إيّاه)[4]، وقوله:* **فَبِمَ تُبَشِّرُونَ*** استفهام ثان غرضه التعجب استلزمه السياق، وتأكيدا للتعجب الأول، فردوا عليه بقوله تعالى:* **قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ*** غرضه نهيه عليه السلام من وقوعه في اليأس(فاختلف القراء في قراءة قوله:"من القانطين" فقرأته عامة الأمصار: "من القانطين" بالألف وذكر عن يحي بن وتاب انه كان يقرأ ذلك :"القنطين"، والصواب من القراءة في ذلك

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص464.

[2] الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، 1981، ج19، ص200.

[3] طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج14، ص58.

[4] المرجع السابق، ص59.

ما عليه قراء الأمصار، لإجماع الحجة على ذلك، وشدود ما خالفه)[1]، فقال تعالى:* **قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ*** تستلزم إجابة غير صريحة كونه أنه ليس القانطين فذكر أنه لا يقنط الضّالون، وهو ليس منهم (يستعمل المتكلم آلية لا يرتبط فيها اللفظ والقصد برابط لغوي، وإنما يرتبط ببيان القصد على إسهام عناصر السياق الموظفة، فالمتلقي لا يدرك معناها إلا من خلال القرائن، وأضرب الاستدلال العقلي، كأن يرد المخاطب على السائل ردا لا يصلح حرفيا أن يكون جوابا عما سئل، فيكون بواسطة القرائن قد أجاب عما سئل في مقام التعريض)[2]، وبهذا يكون التحليل الخطاب القرآني عن طريق العودة للسياق لأن المعنى لا يكون دائما متكونا في التركيب الحرفي للكلام، **و هذا القول عند جرايس قد تم فيه خرق قاعدة المناسبة،لان في قوله تعالى:* قَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ*** يظهر الجواب على غير ما جاء في كلام الملائكة.

الحوار الثالث:

قال تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿24﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿25﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿26﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿27﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿28﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿29﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿30﴾ سورة الذاريات**

اشتملت الآيات الكريمة حوارا بين الخليل عليه السلام، والملائكة، فبدأ بقوله تعالى:* **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ*** وهو استفهام خرج عن معناه الأصلي الى معنى آخر مستلزم مقاميا وهو التعظيم والتفخيم، جاء في تفسيرها عند الألوسي (فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما علمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغير طريق الوحي قاله غير

[1] أبي جعفر محمد جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، ج14، ص84.

[2] آمنة بلعلي، الخطاب/منشورات مخبر تحليل الخطاب، ص21.

واحد)[1]، وجاء في كتب التفاسير الأخرى كتفسير التحرير والتنوير أن المقصود منه تسليته صل الله عليه وسلم على ما لقيه من تكذيب، أما قوله تعالى:***إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ***(وقوله: فقالوا سلاما قال سلام تقدم نظيره في سورة هود. وقرأ الجمهور: قال سلام، وقرأه حمزة والكسائيّ قال: سلم بكسر السين وسكون اللام، وقوله : قوم منكرون من كلام إبراهيم، و الظاهر أنه قاله خفتا إذ ليس من الإكرام أن يجاهر الزّائر بذلك، فالتّقدير: هم قوم منكرون)[2]، **استلزم ذلك وجود زيادة في القول، لأنه عليه السلام اوجس منهم خيفة، ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى:* فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿26﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿27﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ*** استلزمت فاء العطف **هنا على تعاقب الاحداث بسرعة ومتوالية في "فراغ"، "فقربه"، "فأوجس"، ونجد في قوله تعالى:* فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿29﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ* استلزم صكها لوجهها التعجب ويظهر بوضوح في قولها:*عَجُوزٌ عَقِيمٌ*** (و الصَّكُّ: اللّطم، وصكّ الوجه عند التعجب عادة النّساء أيامئذ، ونظيره)[3]، **ونجد في رد الملائكة عليها اجابة غير مباشرة استلزمه السياق فقال تعالى:* قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ* أي وكانهم أرادوا القول لها لا تعجبي من أمر الله فبيده كل شيئ، فإن أراد يقول كن فيكن، ومن هذا القول يمكن ربطه بالقواعد الجرايسية ، فنجد أنه قد تم خرق قاعدة المناسبة لأن رد الملائكة كان بطريقة غير مباشرة على ما اقتضاه تعجبها.**

[1] أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، ج14، ص12.

[2] طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص358.

[3] المرجع نفسه، ص360.

الخاتمة

إن دراسة المعنى التواصلي هو الأساس الذي تسعى اليه التداولية عن طريق ولوجها لتحليل الخطابات والنصوص، لكونه غير متأصل في الكلمات وحدها، و إنما يحتاج إلى سياق للوصول للمعنى الكامن، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الموضوع نجمله في النقاط الآتية:

– يعتبر الاستلزام الحواري من ابرز المفاهيم التي تقوم عليها التداولية

– لقد كان العرب القدامى على دراية بالاستلزام الحواري إلا أنه لم يكن بهذا المصطلح بل تحت مسميات عديدة اختلفت باختلاف التخصص.

– كشف الاستلزام الحواري على نمط خاص من التواصل يسمى التواصل غير المباشر أو الضمني.

– الاستلزام الحواري لا يقيم حدودا فاصلة بين المكونات الدلالية، والتداولية وإنما تتضافر كلها في تشكيلة لفك شفرة الرسالة اللغوية.

– يمكن تطبيق الاستلزام الحواري على النص القرآني، إلا أنه يجب العودة للسياق لمعرفة حقيقة الحدث الكلامي.

– إن للسياق الدور البارز في كشف وتحديد مقاصد المتكلمين .

– الدراسة التي قدمها جرايس تبقى مهمة في العملية التواصلية، حيث أراد جعل تلك القواعد بمثابة ضوابط إذا ما تم خرق إحداها انتقل المعنى من قوته الحرفية إلى معنى ثان يمثل القوة المستلزمة.

– وجود أساليب خرجت من معناها الأصلي، إلى معنى رئيسي أخر حدد من خلال سياق الحدث (كخروج الاستفهام إلى التعجب، أو الاستنكار...).

– وجود أكثر من مبدأ في الحوار الواحد، يظهر هذا إعجاز القرآن الكريم، فالألفاظ تحمل معاني أكثر مما تعطيه الصورة الحرفية.

– تعدد الخطاب الواحد في القرآن الكريم بوجوه عدة، وهذا من وجوه الإعجاز .

– الاستلزام الحواري لا يقف عند صدق القول، وإنما بالطريقة التي قيلت داخل السياق.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

1- إدواري العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط ط1، 2011.

2- أرمينكو فرونسواز، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986.

3- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير بن كثير، دار الطيبة، الرياض، 2002.

4- البستاني بشرى، التداولية في البحث اللغوي و النقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012.

5- الشحات محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر، ط1، 1991 .

6- الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، .2004

7- بلانشيه فليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، ط1، .2007

8- بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف ط1، 2003.

9- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم بيت الحكمة للنشر، الجزائر، ط1، 2009.

10- حموز عبد الفتاح، نحو اللغة العربي الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل، دار جرير للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2012.

11- روبول آن جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003 .

12- صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005 .

13- صلاح إسماعيل عبد الحق، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية القاهرة، دط، 2005.

14- البغوي الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي، معالم التنزيل، دار الطيبة، الرياض، ج1، 1989.

15- الطبري أبي جعفر محمد جرير ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، ج16، 2001.

16- الطبطبائي طالب سيد هاشم، الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب مطبوعات جامعة الكويت، 1994.

17- المراغي أحمد مصطفى ، تفسير المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البياتي الحلبي وأولاده، مصر ج1، ط1، 1946.

18- عبد الرحمن طه، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1 1998.

19- عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2000.

20- عمران قدور، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث إربد الأردن .2012

21- عكاشة محمود، النظرية البرجماتية اللسانية(التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، ط1، 2013.

22- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، م1، 1994.

23- محمد أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة ط2، ج13 1964.

24- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر، تونس، ج16، 1984.

25- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ج1 1997.

26- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج3، 1986.

27- مانغونو دومنيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

28- نحلة محمود أحمد، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المرقة الجامعية مصر، 2002.

29- يول جورج، التداولية، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.

المجلات والمقالات:

1- آمنة بلعلي، الخطاب/منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو العدد الثالث، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008.

2- بلخير عمر، النص القرآني والمقاربة اللسانية التداولية، المؤتمر الدولي للقرآني السنوي جامعة ملايا ماليزيا، 2015.

3- بوبكري راضية خفيف، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، دمشق سوريا، العدد 399، 2004.

4- حمو الحاج ذهبية، قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، مجلة الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، دار الأمل، العدد الثاني، ماي، .2007

5- سي أحمد التجاني، التداولية بين المصطلح وفلسفة المفهوم، مقاربة تداولية للمثل الشعبي، مجلة مقاليد العدد الأول، جوان، 2011.

6- عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، مقالة في مجلة العلامات، العدد 23، المغرب، 2005.

7- كادة ليلى، ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها الوادي، العدد الأول، مارس، .2009

8- لحمادي فطومة، تداولية الخطاب المسرحي، الملتقى الدولي الخامس السيمياء والنص الأدبي جامعة تبسة، د ت.

9- لهويمل باديس، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري العدد السابع، بسكرة، 2011.

10- مدور محمد، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة، دراسة تداولية مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 16، 2012.

المذكرات:

1- آل حماد ليلى، المقاربة التداولية قضية لغوية، شهادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الملك سعود، 1437.

2- كادة ليلى، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان العربي، دت.

3- لكحل سعدية، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دت

4- مقابلة محمد علي فاتح، دلالة التركيب لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة قدمت أطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها الجامعة الأردنية، 2006.

5- ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012.

الملخص:

يعتبر الاستلزام الحواري من أهم نظريات التداولية التي ظهرت على مستوى الدرس الحديث، وبالرغم من الانتقادات التي وجهت له، إلا أن الفضل الكبير كان له في تحديد المقاصد غير المباشرة، وعماد هذه الظاهرة مبدأ التعاون الذي وضعه جرايس

ظهرت ملامح منه في الدرس العربي القديم خصوصا في دراسات السكاكي، ليظهر بشكل واضح وجلي في العصر الحديث والذي من أهم أعلامه طه عبد الرحمان وأحمد المتوكل... و غيرهم.

وبفضل الإعجاز الموجود في القرآن الكريم تمكنا من تطبيقه لأنه الأنسب لكثرة و تنوع الحوارات فيه من جهة، ولكثرة الأمثلة التي وجدت دون التصريح بها، ولبلوغ مقصدها كان لابد من العودة إلى سياق الحدث الكلامي.

Résumé:

Il est considéré comme l'apôtre des théories conversational implicature délibérative les plus importantes qui ont émergé au niveau de la leçon moderne Malgré les
ıes formulées contre elle. mais elles avaient un grand mérite dans la
ıination des fins indirectes.la base de cette théorie est le principe de la coopération établie par grise
ıractéristiques de celle - ci sont apparu dans l'ancienne leçon arabe en particulier dans les études de "**ALsakaki**" qui se sont montrer clairement à l'époque moderne , parmis ses oeuvres les plus importantes "Ahmed moutawakel, TAHA Abd arahmen...ect

Grâce au miracle trouvé dans le saint coran , nous pouvant l'appliquer car il est le mieux adapté à la diversité des dialogues

D'autre part, il y ' à beaucoup d'exemples qui sont jusqu'à présent non dson éclatés et pour atteindre son objectif il faux toujours revenir au contexte de l'événement verbal.

Abstract :

The dialogue is one of the most important theories of deliberation that emerged at the level of the modern lesson, despite the criticisms directed at him. However, the great credit was to determine indirect purposes, and the principle of this phenomenon is the principle of cooperation developed by Grays The features of it appeared in the old Arabic lesson, especially in the studies of Sakaki, to show clearly and clearly in the modern era, which is the most important flags Taha Abdel Rahman and Ahmed Mutawakil… and others.

Thanks to the miracle in the Holy Quran we have been able to apply it because it is appropriate for the multitude and diversity of dialogues in it, on the one hand, and the many examples that were found without permission, and to achieve its purpose was to return to the context of the speech event

الكلمات المفتاحية:

فرنسي	إنجليزي	عربي
PRGMATIQUE	PRAGMATICS	التداولية
MESSAGE	MESSAGE	التداولية
DIALOGUE	dialogue	خطاب
CONEXTE	ontext	الحوار
DISCOURS LOIS DU	DISCOURSE RULES	السياق
MAXIMES CONVESATIONNELES	COVERSATIONAL MAXIMES	قوانين ا لخطاب
INTERACTION VERBALE	INTERACTION	أحكام المحادثة
ENONCES IMPLICITES	IMPLICIT UTTERANCES	التفاعل الكلامي
ACTES ILLOCUTOIRE	ILLOCTIONNARY ACT	الكلام الضمني
DISCOURS	DISCOURSE	الفعل الكلامي
COMMUNICATION	COMMUNICATION	الخطاب
MAXIM OF QUANTITY	QUANTITE	مبدأ الكم
MAXIM OF QUALITY	QUALITE	مبدأ الكيف
MAXIM OF MANNUER	MANNER	مبدأ الطريقة
MAXIM OF RELATION	RELEVANCE	مبدأ المناسبة
SENSE	SENS	المعنى
the necessary dialogue CONVERSATIONAL	IMPLICATURE	الاستلزام الحواري
COOPERATIVE PRINCIPLE	THE PRINCIPLE OF COOPERATION	مبدأ التعاون